

تناوبات التشكّل واللاتشكّل في اللغة العربية

د. سالم المعوش (لبنان)

التشكل اللغوي والمجتمع:

لا تزال ظاهرة التشكل اللغوي إشكالية رئيسة في تاريخ اللغات: نشوئها وتكوّنها وانطلاقها وتفرّعها وتطوّرهما، وهي ظاهرة تعاني منها اللغات الإنسانية قاطبة، خصوصاً في العودة إلى الجذور، ومن ثمّ التشكّل وما يضاف إليها من مفردات وصيغ ومصطلحات وتعابير، قد تعدّ دخيلة، وتستعصي على الأصالة إذا ما حاولت الاندماج كلياً في خصوصيات شعب من الشعوب.

ولقد اكتسبت اللغة إنسانيتها بالتصاقها الوثيق بالإنسان، بحيث لا يمكن الحديث عنها خارج النطاق البشري، وإذا تمّ الحديث فلا يعدو أن يكون مجازاً مضللاً⁽¹⁾. وهي خاصية جنسية، أي من مميزات الجنس الذي يتداول بها، وهو الإنسان الذي صارت له لغات بشرية بأنظمة محكمة تستدلّ إلى وجودها من الظواهر الاجتماعية المعتمدة على أنماط معينة، لا تتخذ شكل الوجود الفيزيائي وحسب، وإنما تتم انعكاساً للأفعال والسلوكات والمناسبات في خلق لغوي ملائم، يستمد قوّته من الفعل والممارسة، لتتلقاه الملكات الإنسانية، فتنظّمه وتعطي له حياة قوامها الفكر والإدراك والإحساس والعقل والنفس والانتباه وقدرة التخيل والتصوّر، وإمكانية النطق المتدرّج الذي يصل إلى حدّ الكمال في إيجاد الروابط بين الظواهر والأشياء الخارجية والمكوّنات النفسية التي تعجّنه في مخترها لتخرجه تراكمياً لغوياً يدخل إلى التراث والخصوصية والمحلية والشخصية والوجود الإنساني عموماً، حتّى يصير له بنية لغوية قادرة على التعبير، تُشكّل عبر الزمن، لتكون جزءاً من الذات والواقع وتكتسب صفة الانتقال من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل.

هذا التشكّل الذي يدخل إلى الصراع بين الموجودات، يشتق نمطاً لغوياً لحياة الجماعة، ويقوم على الاعتبارية في تواجده الذي يصمد عبر الزمن، وعلى التمايز الذي يقيم الاختلاف أو الائتلاف بين تشكيل الكلمة ومعناها، وعلى الإزدواجية التي تجعل الكلام قواعد من جهة ووظائف صوتية ودلالية من جهة ثانية، وعلى الإبداعية التي تعكس القدرة على تكوين وفهم عدد غير محدود من التراكييب الجديدة⁽²⁾.

وغالباً ما يرتبط هذا التشكّل اللغويّ بالمجتمع والسلوك الإنساني، تلك هي نظرية علماء اللغة الاجتماعيين الذين يؤكّدون على اجتماعيتها، ويرون أن الكلام نشاط اجتماعي لا فردي، وينظرون إلى هذه العلاقة ببساطة عندما يعرفون علم اللغة الاجتماعي بأنّه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع⁽³⁾، ويذهبون إلى أن علم اللغة قادر على إيضاح طبيعة اللغة، بصفة عامة، وإيضاح خصائص محدّدة للغة بعينها، وهي التي تمكّنهم من فهم المجتمع، ويؤكدون على أنّ الكلام سلوك اجتماعي، وله وظيفة اجتماعية اتصالية وتمييزيّة بين المجموعات الاجتماعية المختلفة التي بوساطتها يفسّر الكلام وبناءه وصيغته ومعانيه⁽⁴⁾، وقد أدّى ذلك العلم إلى اكتشاف حقيقة التشكّل الاجتماعي ونسيجه العام، حيث بدا واقعياً وخيالياً في آن واحد، لكنهما مألوفان لدى الجماعة يفرضان نوعاً من الالتزام للفرد والمجموع، ويحدّدان طرق النموّ للمجالات المختلفة، ابتداء بالإنسان منذ طفولته، بحيث تظهر الجماعات الكلامية للغة الواحدة، وحيث يمكن أن تتفرّع هذه اللغة إلى لغات أو لهجات، تتأثر بالمكان والزمان والبيئة والمناخ والعادات والتقاليد وكل جديد، ويمكن أن تبعد من المركز، المكان الأمّ، وتؤسس دوائر خاصة بها وتكتسب من الجديد ما يجعلها قادرة عبر الزمن على التميّز من سواها.

وأما أن تتشكّل لغة ما في مكان ما، فهذا يعني تواجدها وتراكمها وتركيبها وتبادلها والتفاهم بها والتنسيق والانسجام فيها والاتفاق حولها والعمل الجمعي الذي تصنعه الأمتّة في تاريخها الطويل، هو من نتائجها، وهو ما يرافقها وتنسجم معه، وهو جميع عملها وخصوصيتها في المجالات المختلفة، ومرجعها وجامعة عاداتها وتقاليدها وكلامها وقيمها ونظمها وحضارتها وأديانها وفولكلورها، وبكلمة تراثها، هو الهوية والأكثر بروزاً فيها اللغة.

لذلك اهتم علم اللغة الاجتماعي بشجرة اللغة الأسرية وأوضح مركز بثّها وانطلاقها وتاريخيتها وتباين أنواعها وعلاقتها التدرّجية القائمة بين سلّم تطورها والكشف عن فصائلها وأنواعها وتراتبية لهجاتها، وإمكانية تقاطعها وتبادلها وانتقالها بين مسارب تحدّرها ومواقع انتشارها والمآل الذي آلت إليه وازدواج التخاطب بها وخلط أنواع لهجاتها أو تفرّعاتها.

إشكالية البحث:

نقول هذا الكلام ونحن نتمثل في ذهننا ماضي اللغة العربية وتطورها وحاضرها وعلاقتها باللغات الإنسانية الأخرى، وهو الموضوع الذي يغري دائماً بالعودة إلى البحث فيه: ضمن نطاق اللغات السامية أولاً وفي نطاق تكون اللغات الإنسانية ثانياً، ذلك أن زمن تشكّل اللغة العربية لقي الكثير من الدراسة وكثيراً من الاختلاف وقليلاً من الائتلاف في الآراء والمواقف، وهو ليس مجال بحثنا الآن.

إنّ ما يتطلع إليه هذا البحث هو التعرّف إلى ظاهرتي التشكّل واللاتشكّل التي واكبت اللغة العربية منذ زمن طويل إلى زمننا الراهن.. حيث تناوب هذان الأمران على اللغة العربية وأصبحتا ظاهرتين تتطلبان حلاً.

توضيح مفاهيم الإشكالية:

أ- زمنية المصطلحين:

ولعلّ القارئ يتساءل: ماذا نعني بمصطلحي التشكّل واللاتشكّل، أما التشكّل فقد أوضحناه آنفاً، في حديثنا حول اجتماعية اللغة وكيفية تشكّلها من الجماعة، ونضيف باختصار: هو زمن ظهور اللغة العربية والتعاطي بها من أهلها وتراكمها واستعمالها حتى أصبحت لغة القوم، لغة العرب أجمعين، في زمن وجودهم الأوّل الذي يرجّح الباحثون أنّه كان في شبه الجزيرة العربية قبل آلاف السنين.

بينما اللاتشكّل، هو ضدّ التشكّل، أو العبث به، أو الإضافات إليه، أو نشوء ظواهر جديدة في نطاقه أحدثت فيه إشكاليات عديدة، وهي تمضي في عدّة اتجاهات أكثرها بروزاً إثنان: مضي اللغة العربية في التفرّع إلى أن بُعدت المسافة بين الأصل والفرع أولاً، واستقبال هذه اللغة الكثير من الإضافات والمصطلحات والاسقاطات التي تعايشت معها ولم تندمج فيها لكنها بقيت في نطاق استعمال العرب لها..

ب- استعارة مفاهيم المصطلحين:

وربما يفضي الكشف عن مصادر استخدام هذين المصطلحين إلى مزيد من الوضوح للفكرة التي نتبّعها، وهما مستعاران من علم الاقتصاد، وقد استعمل ب. هوغون P. Hugon و ج. بورسه G. Pourcet عبارة "القطاع اللامتشكّل" في بحثهما حول تنظيم النقابات غير الميكانيكية (المركبات والعربات التي يجرّها أشخاص). هؤلاء الأشخاص يستأجرون عرباتهم من مالكيها، وعائداًهم تزيد خمس مرات عن متوسط الحد الأدنى للأجور، ومعظمهم من الريف، كانوا من غير عمل، يقصدون المدن للبحث عنه، وينشطون في زمن الأزمات الاقتصادية في المدن. وهم غير منظمين في نقابات، ولا ينتمون إلى أي مؤسسة للدولة، أحرار في انتقاء عملهم وممارسته متفلسون من القيود.

نُجدهم، ليس فقط في قطاع النقل، بل في قطاعات أخرى مختلفة، لا يكونون في داخلها، بل هم هامشيون، ينمون تلقائياً خارج اقتصاد الدولة وتخطيطها. وبهذا يصبح "القطاع اللامتشكل" هو مجموعة النشاطات التي يقوم بها أفراد يرون من واجبهم تأمين بقاء أفراد عائلتهم على قيد الحياة (العمل في المنازل مثلاً)، يتطورون تلقائياً تبعاً لوظيفتهم، إنما دون عقلية التراكم التي تميز الرأسمالية الحديثة". ومعايير الإنتساب إلى هذا القطاع مختلفة ومتغيرة ومن غير ضوابط أو قواعد⁽⁵⁾، وهو بديل للقوانين والأنظمة المعيقة لنمو الاقتصاد، يعتمد على المبادرة الفردية ويسدّ العجز الحاصل في المؤسسات، ويعتمد طريق الاحتيال على التشريعات المالية والاجتماعية للحفاظ على المردود المطلوب مالياً⁽⁶⁾.

أسبقية التشكل اللغوي العربي القديم:

في ضوء هذا التوضيح للمصطلح، تبدو الاستعارة دليلاً إلى البحث عن الإشكالية المطلوبة المتركَزة في وضع اللغة العربية عموماً..

قد يتوافر للباحث الكثير من المصادر والمراجع التي بحثت في الوضع التاريخي للغة العربية، وهي تحاول أن تجيب عن السؤال العام: هل صحيح أن اللغة العربية هي أم اللغات في العالم؟ منها انطلقت عبر المجلات المتتالية من شبه الجزيرة العربية وتموضعت في المناطق المحيطة بها وشكّلت المنطلق الأساس لحضارات عريقة مثل بلاد ما بين النهرين والحضارة الفرعونية والفينيقية، ثم انتقلت لتستوطن اليونان والعالم بأسره. هذا الرأي تبناه الكثيرون، وهو الذي يؤمن به المسلمون انطلاقاً من أن لغة آدام (لغة الجنة) هي عربية، وهو ما يحاول الباحث السوري الدكتور أحمد داود أن يثبت في كتابه "تاريخ سوريا الحضاري القديم"⁽⁷⁾.

والسؤال الآخر: هل اللغة العربية هي أم اللغات السامية؟ وما موطن تشكّلها؟ وهي مسائل شائكة لن ندخل إلى تفصيلاتها، لكننا سوف نؤكد على قضية التشكّل التي شهدتها العصور الأولى من تكوّن العرب. على ذلك فإن الباحث يجد نفسه معنياً بالبحث في الداخل أولاً والخارج ثانياً.

ولعلّ حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم "كلكم لآدم وآدم من تراب" يشير إلى جوهر الإشكالية التي تؤكد على الإنسان الرمز الذي هو آدم أو إلى كل من ينتمي إلى جنسه من المخلوقات العديدة المتواجدة في الكون.

أين وجد أول آدم - إنسان؟ جاء في تاريخ الطبري أن أول آدم وجد كان على جبل كور، وقد ضلّ وأخرج من عالم الخلود إلى عالم الموت والفناء⁽⁸⁾. ودعي جبل "بد"، ولما كانت العربية القديمة "تكتب بدون أحرف صوتية، فقد كان الاسم يلفظ "بودي"⁽⁹⁾.

ولفظه "الكور" هي عربية، وفي القاموس العربي السرياني تعني: نار السموم تسموم، ريح حادة، النار والدخان. وجبل الكور هو الجبل البركاني الذي ظهر من المحيط البدئي الذي شهد نشوء الحياة لأول مرة على ظهر الأرض، وقد ألصقت به تسميات كثيرة، لكنها حملت معنى واحداً هو "الجبل البركاني" الأول⁽¹⁰⁾. وهو الموطن الأول للإنسان ومنه بدأت حركة التشكل التكويني ولاسيما اللغوي. وهو ما يقرّره د. أحمد داود في بحثه الطويل حول ظاهرة النشوء الأول للإنسان في شبه الجزيرة العربية وحول اللغة الأولى في العالم، فهو يقرّر، بعد سلسلة طويلة من الإثباتات الجغرافية والطبيعية والآثار والنقوش والمناخ وتعاقب الأدوار الجيولوجية والعصور الجليدية، على أن "الكتابة الأولى كشفت لنا هوية اللغة التي ظلت يتناقلها الناس شفويّاً عبر عدة آلاف من السنين، وأنّ الدراسة العلمية الموضوعية تبين أن اللغة العربية هي لغة الإنسان الأول في تجمعاته الأولى، لكن ذلك لا يمكن إبطاحه والكشف عنه إلا في ضوء علم اللغات الذي يتيح لنا مجال التعرّف إلى حقيقة بنية اللغة ومفرداتها وتاريخها والإبدالات اللفظية التي طرأت على بعض أصواتها عبر مراحل تاريخية متعاقبة ومن مكان إلى آخر، الأمر الذي يكشف لنا الطريق أو الطرق التي سلكتها هذه اللغة خلال عملية انتشارها من المركز إلى شتى الجهات الأخرى..."⁽¹¹⁾.

وهو يستعين على ذلك بمجموعة كبيرة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي أثبتت بالأدلة صحة النظرية التي يذهب إليها.

والجدير بالذكر أنّ هذه اللغة بدأت محكيّة قبل أن تكون مكتوبة، والأمر الملفت أنّ العرب، وبحسب الأصوات الطبيعية، هم أول من وضع أبجدية في التاريخ وهي: أبجد، هوّز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، أي إثنتان وعشرون حرفاً وإثنتان وعشرون علامة، وذلك في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وهو تاريخ يرقى إلى ما قبل وجود "سام بن نوح"، بعدة مئات من السنين، وهي لغة صوّرتها الكتابة وكانت محكيّة بلهجتها المختلفة.

ثم يأتي التطور بعد ذلك ليقوم بدوره في عملية التغير والانتقال إلى أشكال حياتية جديدة في المكان والزمان وممارسة الحياة. ويكاد المؤرخون يجمعون على أنّ هجرات كثيرة خرجت من شبه الجزيرة واستوطنت في محيطها أو بعيداً منها في كل من الشرق والغرب، تحت تأثير العوامل السياسية والاقتصادية والحربية والمناخية⁽¹²⁾، فكان أن نشأ ما يسمّى بشعوب بلاد ما بين النهرين ووادي النيل والفينيقيين والكنعانيين... إلخ⁽¹³⁾.

أما العرب الذين آثروا البقاء في بلادهم بعدما أصابها من كوارث وجفاف، كما يقول د. حسن ظاظا، "فقد احتفظوا بلغتهم الأولى. وهذا ما يفسّر لنا قدسية اللغة العربية بين عرب الجاهلية، كما يفسّر لنا إجماع علماء النحو المقارن للغات السامية من أمثال "بروكلمان" و"وليم رايت" وإدوارد دوروم و "دافيد يملين"، على أنّ اللغة العربية الفصحى هي بلا منازع أقدم صورة حيّة من اللغات السامية الأم"⁽¹⁴⁾.

وإذا بحثنا عن هذه اللغة السامية الأم لنصل إلى تعيينها، كما يقول الدكتور علي العناني، فلا بدّ لنا من البحث عنها في مجموعة اللغات السامية الماثورة لنا، والمعروفة بوثائقها التاريخية ونقوشها القديمة، حتى إذا وصلنا إلى دليل قاطع على أقدمية إحداها، كانت هذه اللغة التي يثبت بذلك الدليل قدمها وتقدمها في العهد على بقية اللغات السامية القديمة الأخرى، هي اللغة السامية الأولى، وكانت هي الأم التي تفرّعت منها اللهجات السامية كلّها: قديمها وحديثها"⁽¹⁵⁾.. وهو ما يؤكده الدكتور أحمد داود في دراسته الآنف الذكر، حول خصائص هذه اللغة العربية القديمة ومن ثم تطورها وخروجها من شبه الجزيرة وطوافها في العالم، وهي دراسة متأنية تفصيلية تلمّ شتات الموضوع وتبرز هذا التشكّل الواضح للغة العربية: أولاً في موطنها الأصلي، وثانياً في مواطن هجرتها العديدة.

في المركز إذاً، موطن الإنسان الأول في شبه الجزيرة، تتم أول عملية تشكّل للغة الأم، العربية. وفي هذا الموطن يتناسل الناس ويتكلمون لغة واحدة، هي اللغة العربية القديمة التي تشكّلت عبر الزمن، وصار هناك أبجدية حرفية، كما توسّع القوم في جغرافيتهم وصار لهم أجداد وآباء، تباعدوا قليلاً في السكن، وصارت لهم لهجات واستعمالات لغوية خاصة. وكان لهم أن يجروا التعديلات في تركيب الكلام واستحدثته، واستعمال الإبدال والقلب والحذف... ولم يمض زمن حتى انبثق السريان والآراميون والعبريون والفينيقيون والأكاديون الذين أنسلوا السومرية والبابلية والآشورية والكلدانية... إلخ.

اللاتشكّل الأول للغة العربية القديمة:

ومن المركز الأول تنتقل اللغة العربية القديمة إلى طور اللاتشكّل الأول، وهو الذي واكب الهجرات العربية إلى كل ناحية من نواحي الأرض.. "لا تشكّل" يحمل في رحمه الخصائص الأولى للتشكّل الأول.. يمضي إلى مواطن جديدة تتأثر ببيئتها وتكوّن لهجاتها بتمايز متأثر بالحياة الطارئة بكل ما فيها.. "لا تشكّل" للعربية القديمة يفضي إلى لهجات سرعان ما تحوّلت إلى لغات شبه مستقلة، تحتفظ بالأشكال والأصوات الأولى.. ويبدأ التمايز بالدلالات والاشتقاقات والاستحداث والنموّ الجديد للغة ضمن ظروفها الجديدة، وبالتالي تطوير الصوت.

وهو ما أشار إليه ابن حزم الأندلسي حينما حدّد الصلة بين العربية والعبرية والسريانية حيث يقول: "ومن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أنّ اختلافها، إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل"⁽¹⁶⁾. وقد خيّل للبعض أنه أصبح من الصعب الكشف عن حقيقة هذه اللغة الجديدة وعلاقتها بالموطن الأصلي مع مرور الزمن، الأمر الذي دفع المستشرق كارل بروكلمان إلى القول: "كما أنّه من غير المؤكد حتى الآن ما إذا كانت الشعوب السامية المعروفة لنا هي كل الشعوب التي يمكن أن يطلق عليها هذا الاسم، أم أنّه لا تزال هناك شعوب أخرى مجهولة"⁽¹⁷⁾، وإن كان المستشرق أولسهوزن Olshausen يجعل اللغة العربية هي أقدم اللغات السامية⁽¹⁸⁾، فإنّه يقيها ضمن هذه السامية ولا يجعلها قبل سام بن نوح الذي تشكّلت العربية قبله بقرون طويلة⁽¹⁹⁾.. وهو ما أكده الدكتور علي العناتي أيضاً بقوله: إن "الساميين جميعاً من الأصل العربي، ولغاتهم بناء على ذلك ترجع إلى لغة عربية قديمة هي اللغة الأم"⁽²⁰⁾. وهو ما يعمد علماء العرب القدماء إلى تأكيده انطلاقاً من الموروث الإسلامي، فيذهب السيوطي إلى ذلك قائلاً: "كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربياً، إلى أن بُعد العهد وطال، فحرّف وصار سريانياً، وهو يشاكل اللسان العربي إلّا أنه محرّف"⁽²¹⁾، وفي سفر التكوين أيضاً يرد هذا الرأي لكنّه لا يحدّد العربية: "وكانت الأرض كلّها لساناً واحداً ولغة واحدة"⁽²²⁾.

من التشكّل إلى اللاتشكّل إذا.. ومن اللاتشكّل إلى تشكّل آخر:

مضت اللغة العربية في انتشارها.. وشيئاً فشيئاً تشكّلت من هذا الانتشار مجموعات بشرية في مختلف أصقاع الأرض وصولاً إلى الغرب، يصوّر المؤرّخ الألماني جيمس هنري بريستد هذا الوصول بقوله: "ولم تكن الملابس وفنّ الزخرفة والتزييق والأساليب الصناعية العملية الأشياء الوحيدة التي جاء بها الفينيقيون إلى بلاد اليونان، بل كان هناك شيء أثمن من كل مصنوعات الشرق أخذه اليونان عن الفينيقيين وهو حروف الهجاء، وهي أهمّ ما وصل إلى أوروبا من خارجها، وكان الفينيقيون قد هجروا منذ زمن بعيد استعمال آجرّ بابل في الكتابة لأنهم كانوا (في الألف الثاني قبل الميلاد) قد استوردوا كميات كبيرة من ورق البردى المصري، واخترعوا أسلوباً للكتابة خاصاً بهم، استعملوا فيه اثنين وعشرين حرفاً، ولم يكن في هذا الأسلوب علامات للمقاطع، بل كانت كل علامة تمثّل حرفاً واحداً صامتاً. فكان الفينيقيون أول شعب ابتكر أسلوباً للكتابة ليس فيه إلا العلامات الهجائية أي حروفاً حقيقية، ورتبوا حروفهم على أسلوب موافق، بحيث تألّف من الإثنين والعشرين حرفاً مجموعة حروف خالدة، سهلة التعلّم، ولو لم يسمّ كلّ حرف منها باسمه لما كان حفظها ممكناً، وكما حمل الآراميون (وهم السريان) الحروف الآرامية شرقاً إلى آسيا حتى الهند كذلك حملها الفينيقيون عبر البحر المتوسط إلى أوروبا، ولم يبدأ الأوروبيون بتعلم الكتابة إلا بعد 700 عام قبل الميلاد"⁽²³⁾.

ومن الفينيقيين أخذ اليونان نظام تدرج الحروف الهجائية: ألف، بيتا (ألفا - بيتا) التي منها جاءت لفظة Alphabet الأوروبية، ولا زلنا نستعمل في الترقيم الألفاظ (ألفا، بيتا: α - β)، ولا يزال اليونانيون يطلقون عليها لفظة بيبيلوس على إسم المدينة التي جاء منها الفينيقيون وسَمَّوا ما كتبوه عليها بيبليا Biblea ومنها أخذت أوروبا لفظة بايبل Bibli: الكتاب، كما أخذت لفظة بايرو (اسم الورق الذي يكتبون عليه في مصر)⁽²⁴⁾.. وهي التي عرفت في العربية القديمة بـ (ففرو): القرطاس، ولما كان العرب الأقدمون يلفظون الفاء مثل p، فأصبحت بذلك ففرو: بيرو Papero ومنها جاءت الكلمة paper (ورق) بالإنكليزية و Papier (ورق) بالفرنسية⁽²⁵⁾.

ومعلوم أنه قد تشكَّلت في اللغة العربية القديمة ثلاث لهجات رئيسة هي: السريانية في الشرق، والأمورية (وهي الفينيقية) في الغرب، والعرباء (أي العربية الخالصة) في شبه الجزيرة العربية، وهي التي أضافت إلى الإثنين والعشرين حرفاً أو صوتاً ستة أخرى هي: التاء والحاء والذال والضاد والظاء والغاء.. فأصبحت الحروف ثمانية وعشرين، وأضيفت على النظام الألف باقي، بعد قرشت لفظتين: "تخذ"، "ضظغ".

وهكذا أصبح معلوماً لدى المؤرخين أن اللغة العربية القديمة بلهجتها الشرقية (السريانية)، هي التي يطلق عليها الباحثون اليوم اسم الأكادية، ويطلق عليها التوراتيون اسم الآرامية. والأكادية هي السريانية التي تشمل السومرية والأكادية والبابلية والآشورية وما دعي بالكلدانية⁽²⁶⁾.

يتبين مما تقدّم أن تشكّل اللغة العربية القديمة قد أفضى إلى إيجاد اللغة العربية في شكلها الأول.. ومنه تفرّعت لغات انتشرت حول شبه الجزيرة العربية في المنطقة التي تسمّى اليوم العالم العربي، في هذا الانتشار تموضعت هذه اللغات، وهي أول ظاهرة "لا تشكّلية" أفرزتها العربية القديمة.. اتجهت فيما بعد نحو التشكّل.

اللاتشكّل داخل الجزيرة وفيما حولها:

"لا تشكّلها" هذا الذي كان على صورة إفراز اشتقاقي وجد سبيله إلى "التشكّل" من جديد في المواطن التي هاجرت إليها وسكنت فيها، وأصبحت بدورها ظاهرة تشكّلية عاشت حياتها ونموّها وتطوّرها حتى أصبحت لها هيئتها التي ظنّ البعض أنّها مستقلة عن اللغة الأم: العربية القديمة، لكنّها في الحقيقة أعيد تشكّلها على أساسها عبر الزمن. وتجد الكثير من الأشياء المشتركة بين هذه اللغات الجديدة وأصولها.. ومن هذا المشترك اللفظي أسماء الإنسان وأحواله مثل (أناس، ذكر، أنثى، أب، أم، ابن، بنت، بكر، أخ، بعل، أمة، ضرة)، وأسماء الحيوان مثل (نمر، ذئب، كلب، خنزير، إبل، ثور، حمار، نسر، عقرب، ذباب..)، وأسماء النباتات مثل (عنب، ثوم، قثاء، كمون، زرع،

سنبلة...)، وأعضاء البدن مثل (رأس، عين، أذن، أنف، فم، لسان، سن، شعر، يد، حفنة، ظفر، ركبة، كتف، ذنب، قرن، عظم، لب، كرش، كبِد، كلية، نفس، دم، مثانة...)، والأسماء والأوصاف مثل (سمع، طعم، شيب، يمين، قبر)، وأجزاء الطبيعة مثل: (سماء، كوكب، شمس، أرض، حقل، ماء، منبع، بئر، أثر...)، ومن الأفعال والحوادث مثل: (ظل، يوم، ليلة، برق، لهب...) وأسماء البيت : (بيت، عمود، عرش، قوس، حبل، إناء...)، والمأكولات والمشروبات مثل: (قمح، دبس، حمة، سكر...) والأسماء والأفعال مثل: (علا، قدم، قرب، صرخ، أخذ، ذكر، سأل، بشر، رحم، لبس، رعى، سقى، ركب، رأى، بارك، ذبح، فتح، اسم، كل، أسماء العدد...) (27)، يضاف إلى ذلك ضمائر الرفع المنفصلة وأسماء الإشارة..

اللاتشکل داخل العربية القديمة:

حتى أن هذه اللغة العربية القديمة، داخل شبه الجزيرة العربية، لم تسلم من تلك الظاهرة، عنيت الإنتقال من التشکل الأولي إلى "لا تشکل" آخر ومن ثم إلى تشکل شبه مستقل له هيئته الخاصة التي منحته حياة كان لها نحو خاص بها، وقد تمثّل ذلك في اللهجات الكثيرة التي استوطنت داخل شبه الجزيرة، وسمّيت أيضاً لغات، حيث يجد دارس تلك اللهجات كيف أنّها احتفظت بألفاظ وتراكيب وطرق نطق عمّا عداها، كل لهجة اختلفت عن الأخرى حتى في قواعد نحوها وصرفها، إلى أن جاء الإسلام فوحد هذه القبائل وكانت لهجة قريش التي أنزل الله بها القرآن الكريم هي أشدّ هذه اللهجات بروزاً من بين اللهجات التي أنسلت من اللغة الأم: القحطانية والحميرية والمعينية والسبئية، ثم اللهجات العدنانية وما تفرّع منها من لهجة مضر القرشية المعروفة الآن بالفصحى وبلغه القرآن (28)، فأعيد تشکل اللغة العربية من جديد على أساسها، وخرجت من ذلك اللاتشکل، الواهن إلى التوحد في اللغة التي لازالت حيّة ونابضة وزاخرة بأسرار القوّة والقدرة على التعبير والوجود..

مقدمات اللاتشکل خارج بلاد العرب:

هذا في داخل شبه الجزيرة العربية وفي العالم العربي، أمّا في خارج نطاقه فقد كتب لهذه العربية القديمة أن تمخر عباب البحار والمحيطات وتجوّب اليابسة وتخلّق في الفضاءات الكونية كلّها..

قد لا نستطيع في هذه الحالة تبين هذا الانتقال مفصلاً إلى أرجاء الكون، لكن الإشارة تقتضي بأن توضع الحقائق في أماكنها حتى ولو كانت سريعة.. وفي التقدير أن اللغة العربية كانت بالنسبة لشعوب كثيرة في حوض البحر المتوسط وفي أوروبا بمثابة المعلم الأول في مضمار تشكّل اللغات التي تلقفت مع الأصوات العربية الكثير من المفردات والتراكيب والأجواء لا يزال قسم كبير منها موجوداً حتى الآن.. وهذا يعني أن "لا تشكلاً" جديداً بدأ للغة العربية في تلك البلاد القصية، ويصبح من الجائز القول: "أما العربية الفينيقية فهي لغة اليونان وإيطاليا القديمة، إذ إن العرب الأوائل هم أول من استوطنها وشاد فيها المدن ونقل إليها أسباب الحضارة..

إن هذه اللغة العربية القديمة بلهجاتها السريانية والفينيقية هي التي كانوا يتكلمونها بالفطرة في مناطق انتشارهم كلها، سواء أكانوا أميين أم متعلمين، لاسيّما في بلاد اليونان. وهي التي دعيت "الكيني".. وكلمة كيني هي عربية قديمة، تعني في القاموس السرياني: الكيان.. وكانت "أتيكا" أي عتيقة من أولى البقاع التي نزلها الفينيقيون.."(29). ويؤكد د. أحمد داود كلامه باستشهاد لأندرية إيمار الذي يقول: "إن اللغة الأتيكية لم تكن سوى أعظم انتشاراً في الشرق منذ زمن بعيد.. لا بدّ من القول: إن لغة التوراة السبعينية ولغة الأناجيل عملياً هما الـ"كيني" نفسها.."(30).

اللاتشكل اللغوي العربي خارج بلاد العرب:

إنّ الدخول إلى موضوع اللاتشكل اللغوي في أوروبا شائك وطويل، لكنّ الباحث فيه لا بدّ له من الوقوف على جملة من الملاحظات التي تؤكد على ذلك التواصل بين الشرق والغرب وبالتحديد بين اللغة العربية واللغات الأوروبية منذ زمن بعيد.. وذلك ليس لهدف عصبويّ بقدر ما هو علمي.. ولقد جهد الباحث السوري د. أحمد داود لإثبات ذلك من خلال الأدلة والبراهين ومصادر الألفاظ وتتبعها في رحلتها الطويلة إلى أن استقرّت في إحدى اللغات الأوروبية أو جميعها، لاسيّما اليونانية التي شكّلت جسر العبور إلى ذلك العالم الذي لم يعد مجهولاً أمام المجلات العربية المتتالية، خصوصاً الفينيقين.. وقد درسها الدكتور داود وحققها وأعادها إلى الأصول اللغوية العربية القديمة ومرورها على اللهجات المختلفة المتطورة عنها، لاسيّما السريانية والفينيقية والبابلية والآشورية والآرامية والكنعانية والفرعونية والمسمارية والسومرية.. إلخ، وقد ساعده على ذلك إلمامه باللغات السامية ولغات بلاد ما بين النهر ووادي النيل والفينيقية والآرامية وغيرها من اللغات العربية القديمة، إضافة إلى معرفته باللغة اليونانية والإيطالية ولغات أوروبية أخرى كالإنكليزية والفرنسية. وكانت دراسته تتمحور حول عدّة عنوانات منها(31):

- المركز واللغة العربية القديمة: حيث يثبت بالوثائق والأدلة التشكّل الأول للغة العربية القديمة حتى فيما ما قبل الطوفان أي قبل سام بن نوح.

- اللغة العربية والأبجدية الحرفية: حيث يتتبع عملية ظهور الأصوات الرئيسة للغة العربية، وهي اثنان وعشرون حرفاً، وقد زيد إليها فيما بعد ستة أصوات.
- اللغة العربية القديمة واللهجات: وهو بحث طويل عن تفرّع اللغة العربية القديمة إلى اللهجات - اللغات في طورين: إلى اللغات التي عرفت بالسامية الثلاث، وإلى العربية التي تفرّعت إلى لهجات في شبه الجزيرة العربية إلى ما قبل الإسلام.
- اللغة العربية القديمة والإبدالات: بما فيه الأصوات الستة التي أضافتها العرباء على الإثنين والعشرين القديمة، وهي كما أسلفنا "تخذ" و"ضطغ"، وبما فيها الإبدالات بين اللغات الثلاث: العربية والسريانية والعبرية، في صورة الحرف ولفظه وإبداله بحرف آخر، وهو يشمل:
 - الإبدال بين السين والشين وبالعكس.
 - الإبدال بين الهمزة والعين.
 - الإبدال بين الهمزة والهاء بين القديمة والحديثة وبالعكس...
- التحوّلات الصوتية من اللغة العربية القديمة إلى اليونان وإيطاليا، فاللغات الأوروبية الحديثة، وإبدال حرف الفاء بال-P.
- الأساطير العربية السورية في بلاد اليونان وعلماء اللغات.
- اللغة العربية القديمة والمصطلحات الحديثة.

أما العودة إلى التفاصيل فهي تعطي صورة واضحة عن وقائع التشكّلات واللاتشكّلات المختلفة التي تعاقبت وتناوبت على اللغة العربية منذ ظهورها الأول وحتى الزمن الحديث.. وعلى ذلك كلّ نبدي الملاحظات التلخيصية التالية:

1- أقومية اللغة العربية:

إن اللغة العربية هي أقدم لغة تشكّلت في الزمن القديم، وكان مركزها الأول شبه الجزيرة العربية، وبالتحديد جبل السراة، المنطقة التي لا تزال آثارها بكرةً حتى الآن.. وهناك جبل "الكور"، أو جبل النار (وهو اليوم مجمرة الحدّاد)، وقد وردت في القرآن الكريم في سورة "التكوير" التي ابتدأت بالآية: "إذا الشمس كوّرت"، ومنه خلق الله الجنّ (النار)، وهو جبل فيه بركان يقذف الحمم وهو مكوّن منها، وسمي جبل السماء والأرض، وصوّر على شاكلة ثقب هائل ما بين سطح الأرض وبين البحر الأول⁽³²⁾.. وأطلقوا عليه اسم "الهوة" أو "الهاوية" أو "الجحيم"، وقد

وردت لفظنا الهاوية والجحيم في القرآن الكريم، وتدلان إلى جهنم³³.. وظلّ هذا البركان أو التّنين (كما سمي في الآثار الغربية) إلى أن أطفئ وأورث أرضاً غنية بكل شيء.. وسبب إطفائه أن المياه الهائلة المحبوسة قد نفذت إليه⁽³⁴⁾..

ولذلك دعي جبل كور، وهي في الفينيقية "كورا" المرادفة للجبل، وهو الذي سمي أيضاً التلّ المزدهر الذي ظهر في أول العصور⁽³⁵⁾.. وجبل الأرباب (الآلهة)، وهو عبارة عن بضعة جبال.. وسّمّاها العرب: "قرونو"، وهي التي أصبحت عند اليونان "كرونوس": وهو الأقرن المتصل وفي السومرية سمي شروباك التي تعني "سرّة الخصب" أو "مركز بك" التي تعني العظمة والخصب وهي "بكة".. وبالتالي مكة.

وقد سّمّاها السومريون أيضاً "شدا" أو "شدّ" أي السدّة، وهو العرش أو السيّد. وفي القاموس السرياني من الفعل "شدا": أي رمى ورشق.. وشدّت تعني السدّة أو العرش، وقد انتقلت هذه اللفظة إلى اللغات الأوروبية فصارت Sit في الإنكليزية والروسية Sidet: جلس..

وفي الخلاصة: شدا هو الجبل الذي لا يزال في بلاد غامد من جبال السراة في شبه الجزيرة العربية، محتفظاً باسمه حتى اليوم، وهو يحمل المواصفات التي جاءت في كتب التراث والأساطير، والذي هو الخصب والمغاوير والأرض الجنّة والرياحين والآمن.. "وهو جبل عظيم" غنيّ بالمرزوعات من الأنواع كلّها، "وبأعلى قمة هذا الجبل من جهته الشرقية، وتسمّى "قمة المصلّى"، حجر مثلث الشكل تحمله ثلاثة أحجار كبيرة كالأثافي وهو باتجاه القبلة، ويتسع لإمام ومأمومين اثنين فقط، يسمّونه "مصلّى إبراهيم"، وقد كان يقصده العرب من اليمن والشمال ليصلوا فيه⁽³⁶⁾.. وقد أطلق عليه اسم "جبل القاف" وتحتة تقع المحلة الآمنة التي خلق الله فيها آدم، ثم سكنتها الملائكة الموكلة بأمر الأرض والسماء، واقرن اسمه بسورة القاف "ق" في القرآن الكريم، كما ورد اسمه بلفظ "الفلق" في كتاب الله العزيز في سورة "الفلق".. والفلق والفالق، والفلقان هو البركان الذي انتقل إلى اللغات الأوروبية قديماً وصار Volcon أو Vulkan.. وهو الذي حبسه الله في الجبل وصار يسمى "أنجي" أو ange (الملاك) حيث مكان الملائكة، وحيث "جدّه" المدينة السعودية اليوم، في تلك المنطقة منذ القدم، وهي "جودا" أو جودي وتعني البركان، وهي في القاموس السرياني من الفعل "جد" أي "اتقد" و"اشتعل"، وذكره القرآن بلفظة "الجودي" في سورة هود⁽³⁷⁾، والمتتبع الأسماء العائدة للأماكن والرموز الدينية يجدها هي نفسها التي تقوم عليها شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي يحسم مسألة التشكّل الأول للغة العربية وبالتالي رحلتها إلى ما يحيط بها وإلى العالم..

2- العربية القديمة وتشكل الساميات:

ينبغي التدقيق ملياً في تشكّل اللغات التي أطلق عليها اسم "سامية"، إنّ ما ورد آنفاً يدل إلى أن العربية القديمة وجدت قبل سام بن نوح بآلاف السنين، وأنّ سام هذا كان لسانه عربياً قديماً، وأنّ اللغات أو اللهجات التي تحدّث بها أبناؤه هي العربية نفسها ولكن بعدة لهجات وفاق أماكن السكن والانتشار، فإذا بها تصبح العربية والسريانية والعبرية الشديدة التقارب والاشتراك في أمور كثيرة: تأتي الأصوات في طليعتها والمشارك اللفظي ثانيها والإبدال والقلب ثالثها وابتكار الألفاظ والمعاني رابعها والتشكّل اللغوي في الأساس خامسها.

وإذا كانت هذه اللغات - اللهجات القديمة قد سارعت إلى إحياء نفسها بوضع معاجم كانت لمنطلقها القدم فبرزت وكأنّها تمتلك الأهمية في ذلك الماضي السحيق، فإنّ اللغة العربية أكثر هذه اللغات حياة وانتشاراً وفاعلية وقداسة وتأثيراً، إلّا أنّ معجمها القديم الذي يعود إلى ما قبل الساميات الواسع والخصب لم ينجز تماماً إلى الآن.. لذلك تضيع بعض الحقائق والإثباتات على تلك المرحلة الأولى التشكّلية للغة العربية.. وهو من مهمات الجامع اللغوية العربية والدارسين واللغويين الذين تنتظرهم لإنجازها.. على أن القرآن الكريم هو خير وثيقة يمكن العودة إليها في هذا المضمار.

وبديهي القول: إنّ هذه اللغات-اللهجات في ذلك الطور قد شهدت "لا تشكّلاً" ناتجاً عن انتشار السريانية والعبرية على حساب العربية الأم، "لا تشكّلاً" تحوّل فيما بعد إلى نمط لغوي تعيشه وتقول به جماعات بشرية تصنع حياتها من خلاله، حتى غدا بدوره تشكّلاً، لا أقول مغايراً عن التشكّل الأول، بل هو استمرار له في وجوه كثيرة، وهو ما أفضى إلى "لا تشكلات" أخرى أنسلت لهجات-لغات مشتقة منها.. ولكنّها كانت عاجزة فيما بعد عن الاستمرار والبقاء لفقدائها الشرط الأساسي: الأرض والشعب اللذين يشكّلان الأساس لحياة كلّ لغة..

بينما استمرت اللغة العربية تنسل من تشكّلها الأول، وفي رقعتها الجغرافية التي عاش الناس عليها، "لا تشكلات" جديدة تركزت في تلك اللغات-اللهجات التي تعاضم عددها فيما قبل الإسلام، وأخذت كلّ منها طوابع خاصة لكنّها تمحورت حول أساسيات اللغة العربية القديمة التي بقيت بشكل أو بآخر في تلك اللهجات. وكانت أكثر بروزاً في لغة أو لهجة قريش، لغة القرآن الكريم، لغة الكلام المبين.. التي ظلّ العرب يتحدثون بها ويضعون إبداعهم فيها.. وهكذا كانت مضر وتغلب وقحمة ونجد واليمن وتميم والحجاز.. على لسانٍ متقاربة لكنّها متميزة، وهو ما عنيت به اللاتشكّل الأول للغة العربية بين العربية نفسها، ويمكن أن نلمح آثاره حتى يومنا هذا في بعض اللهجات المنتشرة في العالم العربي، خصوصاً في شبه الجزيرة، على الرغم من توحّد اللغة العربية وتوحّد العرب حول النطق بها، لاسيّما فصحاها. ويمكن العودة في هذا المجال إلى كتاب "دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية" لمؤلفه ت.م. جونسون، حيث نجد بعض الفروقات في تلك اللهجات، مع العلم أنّها تتداول في مهد اللغة العربية الأم، فهناك لهجات الساحل

الشرقي، لهجات الشمال مثلاً حيث نلاحظ أنّها لغة مشتركة، كما نلاحظ التباين في نطق بعض الحروف وتأثير أصوات الحلق في تركيب المقطع ونطق الجيم والاختلاف في التركيب الصوتي⁽³⁸⁾.. وبالتالي تميّز اللهجات: بالتشكيل الصوتي والصرفي والنحوي⁽³⁹⁾.. لكلّ من دبي وقطر والكويت والبحرين وأبي ظبي.

3- التشكّل الأكبر:

مع نزول القرآن الكريم، وقبله بقليل، تتوجّه اللغة العربية إلى التشكّل الأكبر، حيث تتوحد العربية في سياق واحد أرادته سبحانه وتعالى: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً"، ليلتفّ الناس حوله، وتصبح اللهجات السائدة مطلّة من حين إلى آخر في بعض الألفاظ والتراكيب والقرارات والقواعد النحوية، ولتقام حول القرآن الدراسات اللغوية المستفيضة وتكتب القواعد في الصرف والنحو والبلاغة ويضبط الفنّ الشعري وتتركز اللهجات كلّها في نطاق واحد.

4- العربية القديمة ونطاقات اللاتشكل والتشكل اللغويين في العالم:

لقد دُعيت البلاد التي كان فيها الإنسان الأول في جبال السراة بالسريانية. وهي ليست إلا الأراضي التي أقيمت عليها البلاد السورية التي أصبح لفظها واحداً Syrian أو سريان Syrian.. وكانت لغة آدم السريانية أو السورية نسبة إلى الأرض، وهي ليست إلا اللغة العربية.

وأنّ لفظة آدم هي في أصلها "دم" وفي السريانية "دمو" وتعني: الدم، الأصل، الشخص، المثال، المثل، النظير والشبيه، وقد خلقت القوة الإلهية على شاكلتها فدعي بالمثل أو الشبيه.. ومنها لفظة "دميتا" المؤنث، أو دمية في العربية الحديثة وتعني الشبيه أيضاً.. وهو الذي أراد الله خليفة له في الأرض، الأمر الذي أغاظ إبليس فاندفع في ايدائه والخطّ من قدره حتى هبط من الجنة الإلهية إلى الأرض.. إلى جبل السراة (نسبة إلى سر: السيد): واللفظة تعني السيد والعالِي والمرتفع، وسراة القوم سادتهم، ومؤنث "سر" أي السيد: "سرت"، ومنها سارة. "وسراً" تعني: خصب وسرأت المرأة كثر أولادها. وسرن (بإضافة النون علامة الجمع) ومن ثمّ الياء (إحدى اللهجات)، فتصبح سريان أو سوريا.. وهي اللغة الرسمية في الدولة التي أنشئت في الألف الرابع قبل الميلاد (أول دولة بالمعنى الدلالي للكلمة)، وهي لغة آدم الذي يعود تاريخ وجوده إلى الألف السادس قبل الميلاد، وذريته من بعده: هابيل وقاييل وشيث ومهلائيل ويارد وقينان وإدريس ونوح وسام وآرام... إلخ⁽⁴⁰⁾.

وبعد ذلك انتشر السوريون أو السريان في سكتاهم. ولقد ذكر هيرودوت في تاريخه الكثير من أماكن الانتشار هذه.. ومنها أفريقيا التي كان يسميها "ليبيا"، وقد حدّد سوريا في امتدادها من البحر الأسود إلى وادي النيل وبحر العرب والبحر الأحمر ومناطق أيونيا وأعالي الأناضول والمضائق وصيدا⁽⁴¹⁾.

وكان الفينيقيون قد وصلوا إلى عرش روما، وكان بعضهم لا يرضى إلا أن يطلق عليه لقب "العربي" (42).. وأن لفظة فينيقيين مشتقة من فعل: فنق ومعناه "نعم" ورفه.. و"فونيقيو": منعّم. هذا في السريانية والفينيقية أو العربية القديمة. وفي "محيط المحيط" فنق وفنق: نعم. وعيش مفانق: ناعم ورغيد.. أمّا اسم فينيق فهو أحد أولاد ملك صور أجينور وأخو قدموس وكيليك وأوروبا، وقدموس أول من بنى مدينة في بلاد اليونان (المورة) وهي مدينة طيبة (43).. ونسبة إليه أنه أطلق اسم فينيق على قسم من الساحل السوري القديم وكيليكيا على الشمال السوري، نسبة إلى أخيه كيليك، وأوروبا على القارة المعروفة، نسبة إلى أخته أوروبا. وأن أدريانو الخطيب السوري عندما هاجر إلى اليونان أعلن في خطبته الأولى: "للمرة الثانية تأتي الآداب من فينيقيا". وغير خاف على الدارسين ذلك الدور الذي لعبه الفينيقيون في تعليم اللغة العربية الفينيقية لشعوب اليونان، هؤلاء الذين يثبت الدارسون أنّهم عشيرة عربية سورية أو سريانية وأنّهم أصبحوا عشائر أخوات (44)، أصبحت لدى المؤرخين الغربيين تعرف باليونان، وهم خليط من عشائر (45):

- الفلاجيين: وهي لفظة عربية فينيقية أو سريانية من "فلجو" وتعني الفالج: القاسم.
- هيلان: أو هिला (النون للجمع في العربية القديمة)، هو حيلان أو حيلا أي القوي (وهي من الحيل والحول أي القوة).
- أيوليو: في القاموس السرياني: "أيولو" وتعني: المعين أو المغيث.
- الإخائيين: أي الاتحاد والأخوة، وفي القاموس السرياني من "أحو": أخ و "أحينوا": حليف أو نسيب.
- الدورو: في القاموس السرياني: المقاتل، المصارع، البطل. ومنه لفظة Heros.
- يونان: في القاموس السرياني تعني حمام، وهي جمع يونو، وقد أطلقت على عشيرة يونا، ابن حيلا، الذي هو من ابن يافث بن نوح، والنون في يونان هي للجمع في العربية القديمة والسريانية فيما بعد (46).
- أما لفظة إغريق فهي عربية سواء أكانت من الغرق، أم من اللفظ العربي القديم "أجر"، حيث كان العرب يلفظون "ج" كما يلفظها المصريون "غ"، وهي تعني: أجر: زنا. وإغريقا هو اللفظ الذي أطلق على هؤلاء (أو "أجريقا")، و"يقا" هي نهاية بعض الكلمات العربية القديمة التي انتقلت إلى اللغات الأوروبية، فمثلاً لفظة درزيقا هي من فعل درز في العربية القديمة وفي القاموس السرياني درز: خاط، ودرزيقا: خياط، ودرزيقوتا: خياطة.. أما لماذا الزى؟ فإنّ المصادر تشير إلى أنّ الوافدين القدماء إلى بلاد اليونان كانوا ممّيزين عن سواهم من الأهالي في تحضرهم وعلومهم وتفوقهم في مجالات كثيرة على السكان المتواجدين هناك، فكانوا، هؤلاء السكان، ينظرون إليهم وكأنّهم آلهة.. ولما كانت نساء هؤلاء تسكن المغاور، أي "حيرا" في العربية القديمة

وكنّ على شيء من الجمال، فكان هؤلاء الأمراء السوريون العرب الوافدون من البلاد الشرقية يتبعونهم في أماكن سكناهم ويضاجعونهم وينجبون منهم نسلًا عرف بأولاد الزنى أو الإغريق (اجريقا)⁽⁴⁷⁾..

نورد هذه التفصيلات لتؤكد على هذا اللاتشكّل اللغوي الذي ساد تلك البلاد اليونانية في مرحلة من مراحل التاريخ، حيث حملت اللغة العربية معجمها الذي تشكّلت على أساسه اللغة اليونانية وبالتالي اللغات الأوروبية، ولعلّ الأمثلة التي سنوردها الآن دلالة إلى انتقال ألفاظ عربية كثيرة إلى بلاد الإغريق أو اليونان، تكون قد أسهمت في إيضاح فكرة اللاتشكّل التي قامت عليها عملية دخول العربية إلى تلك البلاد، وبالتالي التشكّل الجديد للغة العربية نفسها والتي ظهرت بحلّة جديدة خالها كثيرون أنّها مغايرة عن اللغة الأم العربية، على الرغم من اختلاف التصوير للأصوات والحروف والألفاظ التي شكّلت اللغة اليونانية..

اللفظ اليوناني	العربي القديم	المعاني
زيو	أوزيوس	السيّ - الشعاع
حيرا (الإله)	أور	حورا، حوراء، حورية
لوجو	لجا: لغا، لغة	نطق الجيم (تلفظ في العربية القديمة غ: Logos, Logique)
ديمو قراطي:	ديمو: شخص، إنسان، آدم	الفاعل: قرط: رقم، حفر،
	قراطي: جمع قراطو: مكتوب	نقش مسجّل
	ديمو قراطي: الإنسان المسجّل (أي الذي ثبت أن أبويه نبيلان) وقد فسّرها الأوروبيون بالشعب الحاكم أو حكم الشعب وهو معنى متحوّل.	
الفلق ، الفلقان	البركان	Volcan
أبولو	أفو إيلو	أفو: وجه، إيلو: إيل: الرب
	(الفاء كانت في العربية القديمة تلفظ	وجه الرب (إله الجمال
	.p)	والشمس)
مات (مستودع الخلق)	ماء، مامي، مايا، ما، مت، الرحم، أم	Mat, Matka,
	(عرفت الأم في العربية القديمة بهذه	Mother, Mater,
	الألفاظ)	maman, mame
أنجي	ينجي	Ange الملاك
أردن	رديا ويردا: حوض	

	رديو: الماء ينبوع	
	أردن: جمع رديا: أحواض ماء	
Savon	سافون (الصابون، الرغوة): زيد البحر، (الفاء تلفظ بـ باء أو p).	سفهو
ربة الزهر (عيد النيروز: عيد الزهر)	ني: ربّة، روزا: الزهر (الفعل روز: أزهر)	نيروز: ني روزا
ربة الوفر أو الخصب	ني: ربّة، لفر: الخصب، الوفر	ني لوفر
زهرة اللوطس: زهرة الفتنة	ني: ربة، لوطس: الفتنة والإغراء	ني لوطس
نافورة الخصب	نيفري: نافورة، تيتي: الخصب	نيفريتيتي
Elissa, Eliza, Elisée	حليصا: أليسا	أليسا
Julia, Jolie	المتحلية	جوليا
Paque, pskha, pask	بصحتا، فصحتا: المقدس	فستا
Austeria زوجة	عشتر، عشتار: الخصب	إستر، استرايا
(أستراليا اليوم)		
الزوجة، السيدة، حنة، هناء،	حنت، حنة، مخرج الخلق واحد: "ح" و"ع".	عناة
Hanna		
Mars (السين يونانية)	مار: السيد، الرب (مؤنثها: ماري: ماريت ومرت)	مارس
July يوليوس	تموز (يوليو في المصرية القديمة)	دوموزي
بالإنكليزية: Wise	حيزيث: النبىء، الرائية، العرافة	إيزيس
بالفرنسية: vision	الفعل حزا: رأى، تنبأ	
Visionneur	حزيو، حزوي: نبي، رائي حزويث (مؤنث)	
Athène	-أثينا (المركز): السيد، الرب - أثون (المؤنث): السيدة، الربة	أثينا
إلهة الخصب	أفني: الخصب	فينوس
minute	جزء من الساعة	منوت
Drama الصراع	فعل: درا: صارع، قاتل ما (في العربية القديمة تنوين)	دراما
مكان العرش، نشيد رب العرش	د: أداة تعريف	دثرامبو

	أثرا: مكان ، موطن	
	أمبو: العرش	
أخفى (الممثلون كانوا يخفون أنفسهم بجلود التيوس والماعز..)	الستر، ستر	ساتيرا
sutire		
	بقيت على حالها (وأدونيس هو التيس في الدستورامبوس) Thoous	تيوس
Tragedie	تراحي: جمع تراجو: التيس	تراجيديا
تيوس الجدي، الذين كانوا يرقصون أمام رمز أدونيس ويقدمون تيساً صغيراً أو جدياً أضحية للتخفيف من آلامه.	جديا: الجدي	
Comédie	قوموثا وقوموتا: القيامة	كوميديا
	تحوّلت الثاء إلى d	
	قوموتا: كومودا	
ساحة المذبح: حيث كان يتجمع المغنون والراقصون	الفعل: أور، حر: نظر، شاهد	أوركسترا
Orchest	حورو: مشهد، مسرح، ساحة	
الراقصون المغنون	قسطرا: المصطبة، المذبح	
	حورو: المشهد، المنظر، المسرح	الكورس
	تحوّل الحاء إلى كاف في الإيطالية:	
	حورو: كورو	
	كورس: زيادة السين في اليونانية	
Antique	عتيقا	أتيكا
Theatre: theorie	الفعل: تثر: رأى، شهد	ثياترو
	تأوديو: تثيرو: ناظر، ملاحظ	
	تثثرون: مشهد، مسرح	
	الثاء للتعريف	
عداؤون: السباق	مرهطون	مراثون

Marathon	الفعل: رهط: ركض	
	راهوط: راكض	
Kresto: باللاتينية:	كرز: وعظ، بشر	كريزيتوي
Christ: بالفرنسية:	كريزتو: بشارة	
	كريزتيانو: المبشر	
	كريزت: المسيح	
angelion: اليونانية:	الوحي: الرؤيا	إنجين (إنجيل)
Evangile: الفرنسية:	انجين: الكشف	
	الفعل جلي: كشف، أوحى	
	أجلي: أجليون: أنجيليون	
المغارة	نسبة إلى حورا	حوارين
Venise البندقية	فينيقيا	فينيسيا
Sparte	اسبر: رجاء، أمل، صبر	اسرطة
	سير: احتمال، سبirtا: صبر، احتمال	
الوصف السلالي الأمومي (أم)	اتنو: حتنو: أقارب	الأتنوغرافيا
علم السلالات (اليوم)	الفعل: حتن: حاتن: قرن	
	جرافك أصلها: جلف: نحت: خرط	
	تحويل: "ج" إلى "غ"، في اليونانية	
	جلو فو: نحات، مصوّر	
	جليفو: منحوت، مصوّر، منقوش	
	اتنوغرافيا: قرن الأقارب	
Arabian	عرب	أرين
Sire, Syrian	السيد	سر
	سرن (إضافة النون للجمع)، سوريون:	
	سريان	
نسر الخصب، إله الخصب	جوفيتير (أصل الباء فاء في العربية)	جويتير
Jupiter	(القديمة)	
	جوف: النسر، الجناح	
	فاتر: باتر، المخصب	
الأقوياء، الأبطال	نسبة إلى حيلا (بالعربية)	هيلينيون

Hilène	حيلان: القوي، الشجاع	
	حيل: قوة	
	حيلان، هيلان: هيلينيون	
Bouli دولة ، Police	أمير: بوليس	بولي
(إضافة سين)		
Kin الفرنسية:	حن و حنو: حانة: حانة الشاطئ، حمر	حتريا
Win الإنكليزية:	تر: البر، اليابسة، أرض	
Vino الروسية:	حتريا: حانة الأرض، حانة الشاطئ	
Terre		
Loupe	الذئبة (التي تحب صغارها)	لوبا
Love الحب بالإنكليزية		
بحر الحزير	حزيرة	قونويا (قونيا)
	يمو قونوي: بحر الحنازير	

5- المثاقفة والترجمة والتشكّل واللاتشكّل:

يسمّي الباحثون العلاقات التي تنشأ بين الشعوب بالثقافة، وربما كان المصطلح يعبر عن حالات من التفاعلات التي سادت الروابط والتبادل بين الحضارات واللغات والثقافات. لكنّ التشكلات الأولى للمجتمعات تحتمل تفسيرات أبعد من موضوع المثقافة. في حالة اللغة العربية، ومنذ القدم كان ثمة تشكيل للتموضعات البشرية، لاسيّما على الصعيد اللغوي، وما سقناه آنفاً من تأثير العربية في التشكّل اللغوي لبعض المجتمعات يتعدّى القول بالثقافة إلى التشكّل.. صحيح أنّ اللغة العربية، كما يشير المؤرخون، من أقدم اللغات، إن لم تكن أقدمها، لكنّها في المراحل التي نتحدث عنها كانت ذات تأثير قوي، لاسيّما في اغناء اللغات أو اللهجات المحيطة بها أولاً، وفي اللغات البعيدة منها، كما أظهرنا، حيث كان التلاحم وتبادل القوى والصراعات قائمة على أشدها، وحيث لم تشكل بعض الحضارات الإنسانية منذ فجر التاريخ، مروراً بإقامة الإمبراطوريات القديمة كاليونانية والرومانية، ثانياً.

إذ إنّنا في مطلق الأحوال، ينبغي الاعتراف بأنّ ظاهرة التدخل في شؤون الغير، جعلت من التدخل مستعمراً يفرض شروطه على المستعمر، وهكذا تتم المثقافة في ظروف اللاتكافؤ في القوى والمعطيات الحضارية.. وهذا ما

أشارت إليه القواميس في تعريفها الثقافة من أنها تبحث عن العلاقة بين مستعمر ومستعمر، حيث تظهر قابلية الثاني على الأخذ من الأول، إلى الحد الذي يجعله مقتنياً آثاره في كل شيء، خصوصاً الأدب. لكن ما ينطبق على اللغة العربية في الزمن القديم يتخذ شكلاً متميزاً، في وقت كانت الشعوب بحد ذاتها تهاجر مجتمعة وتستقر في أرض معينة مجتمعة أيضاً وتختلط بالشعوب الأصلية وتسهم في تكوين مجتمعاتها وتصبح متوحدة. من أجل هذا كان قاموس المورد الإنكليزي العربي يشرح التثاقف بأنه "تبادل ثقافي بين شعوب مختلفة، وبخاصة تعديلات تطرأ على ثقافة بدائية نتيجة لاحتكاكها بمجتمع أكثر تقدماً"⁽⁴⁸⁾، وهذا ما ينطبق على العرب في تلك المراحل المتقدمة من التاريخ.. حيث مرّت الثقافة العربية في غير مفصل: من جهة أسهمت في تشكّل ثقافة المجتمع اليوناني مثلاً، ومن جهة ثانية عادت المؤثرات اليونانية لتسهم في التشكّل الثقافي العربي لاسيّما في العصر العباسي، ومن جهة ثالثة، عاد موضوع الثقافة ليتخذ أبعاداً أخرى في العصر الحديث.. أكثرها بروزاً العامل الإستعماري.. الذي أراد طمس اللغات وإحلال لغته محلّها (الجزائر، المغرب العربي مثلاً...).

أ- الجهة الأولى: تغني الصفحات السابقة عن إضاءة هذه الجهة في تشكّل اللغة العربية وانتقالها إلى اللاتشكّل، في هجراتها المختلفة، في هذه المواطن التي استقرّت فيها: الحيطه والبعيدة.

ب- الجهة الثانية: ونقصد بها ذلك الجديد الذي طرأ على اللغة العربية وعلى المجتمع العربي بظهور الإسلام، الأمر الذي قدّم معطيات كثيرة وجديدة استطاعت أن توحد العرب وتخلق هذا الإتساع في جوانب الحياة كلّها.. لكنّ ذلك لم يشعر العرب بأنّهم استطاعوا أن يستوعبوا حركة الحياة الثقافية والعلمية والحضارية التي رسمها القرآن الكريم.. لذلك كان التطلّع بارزاً إلى هذا الاستيعاب وتغذيته بروافد معرفية توضح الكثير من الجوانب التي أشار إليها القرآن وفصلتها آياته. لذلك كان يقتضي الإنفتاح واستكمال التشكّل الجديد، فعادوا إلى التراث الإنساني، لاسيّما اليوناني الذي لم يكن إلّا مما أعطوه له سابقاً، فدخلوا إلى عملية تشكّلية جديدة ضمن التشكّل الأعظم الذي جاء به الإسلام.

أتحدث في هذه الجهة عن زمن محدد بنهايات العصر الأموي ومعظم العصور العباسية، كما أتحدّث عن عقل عربي منفتح على الشعوب وحضاراتها، ذلك ما يمكن تسميته بالتشكّل الإنساني للحضارة العربية وبالتالي للغة العربية.. حيث كان امتداد رقعة الخلافة الإسلامية جغرافياً يشمل قسماً كبيراً من مناطق آسيا وأفريقيا وأوروبا، فكان هذا التشكّل المطلوب بغية استيعاب هذا الإتساع الذي تجلّى في أمرين أساسيين: الإلهي والزمني، وهما كونيّاً التطلّع التشكّلي الثقافي الذي جمع امتدادات كثيرة في شكل واحد هو نسيج مما لدى الشعوب، مصاغ بلغة واحدة، اقتضت انفتاحاً واسعاً على اللغات كلّها، وتشكّلاً لغوياً جديداً، لاسيّما في دنيا المصطلحات الجديدة، حيث عكست اللغة قدرتها على الاتّجاه في كلّ ما هو معرفي.. ولقد قام هذا التشكّل الجديد على جملة أسس تعدّ من أساسيات نجاحها:

1- اللغة القوية القادرة والموحدة والإيمان القوي الواحد والقرار الموحد القاضي بإنجاز مهمة التشكل المعرفي الواسع.

2- التقاء العلماء في المجتمع الواحد.. علماء متعدّدو الاختصاصات وثنائيو اللغة ومتعدّدوها، ومن الأديان جميعها ومن شعوب كثيرة.

3- اتساع حركة الترجمة إلى العربية بما حملته من معلومات ومصطلحات لم تكن متداولة.

4- اتساع البنية المعرفية التي شملت كل شيء وشكّلت حافزاً لإعادة تشكيل المجتمع العربي الجديد وبالتالي خلقت أجواء من التقارب بين الأعراق والثقافات واللغات والأقوام..

5- الجرأة والحرية وعدم التردد في الإقبال على نقل المصطلحات والترجمة إلى العربية.

6- ولقد بدا الأثر اليوناني واضحاً في هذا التشكل المعرفي، لاسيّما اللغوي الذي لجأ إلى مصطلحات صارت غريبة عن العرب أنفسهم، وهي في أصولها المعجمية من تحدّرات اشتقاقية للغة العربية القديمة ولهجتها السريانية.. والملاحظ أنّ بعض التغيرات الصوتية قد طرأت عليها مثل: الريطوريقا والطراغوذيات والرفسوديات والقوميديات والدراماطا، وأكثرها وضع مقابل عربي له في ذلك الوقت⁽⁴⁹⁾:

مثل : التغيير: ميتافورا Metaphora

والمثال: الصورة Eidos

والمحاكاة: أو الحكاية mimesis

والمديح أو التراجيديا Tragedie

والهزاء أو الكوميديا Comedie

والمناقون أو الممثلون Acteurs

والإدارة أو التحوّل Direction

ولقد سبقت الإشارة إلى أنّ بعض هذه المصطلحات أصله عربي قديم.. إلّا أنّ العرب لم يدركوا في ذلك الزمن هذا الأثر، أو أنّ الذين قاموا بحركة الترجمة لم يكونوا عرباً عالمين بهذه الجذور البعيدة العمق للغة العربية. لذلك كانت بعض المصطلحات تعكس من وجهات كثيرة "لا تشكّلية" اللفظة وغوصها في العمق الوجداني العربي، فكانت سطحية أحياناً و مترجمة لحياة ثانية أحياناً أخرى، من أجل هذا كان تعريب لفظة الإدارة بمعنى التحوّل غريباً والممثلين بالمناقين كذلك، علاوة على أنّ ألفاظاً عديدة حُملت من محمولها الدلالي في لغتها الأصلية إلى محمول آخر في العربية.. الأمر الذي أحدث خللاً في المعنى التشكّلي الجديد.. وأعطاه أجواء مبتكرة لم تكن لها في الأصل. وذلك يتجلى في ألفاظ كثيرة مثلما أسلفنا حول التراجيديا والكوميديا والمحاكاة والميتافورا. لكنّ هذه الترجمة كانت بحدّ ذاتها

نوعاً من الإبداع في المحيط الذي أوجدت فيه حتى صارت جزءاً منه يتشكّل منها.. ولقد كان أبو حيان التوحيدي علامة فارقة في نقل المفاهيم المختلفة إلى العربية عن كوكبة من العلماء الأجلاء.. وكان تعريبه يقف على الخصائص الاجتماعية والثقافية واللغوية والحضارية... إلخ التي أنتجها الإسلام جميعاً⁽⁵⁰⁾..

لكنّ ذلك لم يمنع من الشعور بغربة المترجم، وأنّ القارئ أدرك أنّه يقرأ لغة داخل لغة، وقد عبّر التوحيدي عن ذلك بحادثة أوردها عن إعرابي حضر في مجلس الأخفش واستمع إلى ما يقال حول النحو، فعلق قائلاً: "أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا"⁽⁵¹⁾.. وإن دلّ هذا على شيء فعلى أنّ التشكّل الجديد للمصطلح كان لا يزال في طور "اللاتشكّل" وأنّه كان ينمو هامشياً من دون أن يدخل في جوهر الحياة وبنيتها وخصوصيتها ومحليتها، وذلك عائد إلى محدودية الأجواء الدلالية التي أحدثتها بعض المترجمات، وبالتالي التأثير في بنية اللغة، لذلك قلنا إنّها ظاهرة "لا تشكّلية"، وأنّ ألفاظاً مثل "الجوهر" و"العرض" و"الهو" و"الهوية" والماهية⁽⁵²⁾... كان يلزمها بعد مكاني وزماني ومعرفي حتى تمتصّها الأرض وتضمّنها..

ولو أنّ الكاتب ابن وهب قد بذل جهداً أكبر للتعرف إلى المصطلحات وأصولها، لكان استراح هو وزملاؤه ممّن قاموا بعملية الترجمة مثل: الفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم من مترجمي المصطلحات الفلسفية والعلمية والأدبية والنقدية، ذلك أنّ ابن وهب عندما يتحدث عن "الاختراع" للمصطلحات والألفاظ والمعاني، يورد بعض الألفاظ التي في أصولها تعود إلى العربية القديمة، فهو يقول: "وأما الاختراع فهو ما اخترعت له العرب أسماء مما لم تكن تعرفه، فمنه ما سمّوه باسم من عندهم، كتسميتهم الباب في المساحة بابا والجريب جريباً والعشير عشيراً"⁽⁵³⁾.. وهي ألفاظ أتينا على ذكر بعضها عند الكلام على تشكّل اللغة العربية القديمة والسريانية عند غير العرب.

6- إشكالية "التشكّل واللاتشكّل":

وإذا كنّا ننصح بالعودة إلى اللغة العربية الموعلة في القدم، ليس من أجل تبيان فضلها ولكن من أجل حلّ الإشكاليات التي نشأت وقد تنشأ عن تعريب المصطلحات.. إنّ العجز ينبغي ألاّ يسوّغ دائماً بمقولات إلقاء التبعة على الخارج أو على القصور الآني لأبناء اللغة.. بل ينبغي النظر في العجز نفسه ومسبباته والحالات التي يولّدها عبر الزمن من تراكم أعجاز يتضام بعضها إلى بعض.. إنّ الإشكالية التي حصلت في الزمن العباسي هي هذا الإنفتاح الثقافي المبني على تبصّر من أركان الخلافة وتجمّع العلماء.. إلّا أنّه لم يكن كافياً لإحداث الامتزاج بين الطارف والتليد.. فأمام هذه الكوكبة من جهود العلماء في حقل الترجمة قامت كوكبة أخرى تحتجّ على محصّلة الأولى.. الأمر الذي تجسّد في مواجهات كلامية تذهب إلى أنّ ما هو طارف لم يلائم الواقع، وظلّ هامشياً دون انصهار فيه وفي التليد.. وهو الدعوى التي أقامها المحافظون القدماء على المترجمين في العصور العباسية.. حيث بقيت ترجمات

المصطلحات وصفاً "لا تشكلياً" يلقي من المعارضين ما يلقاه من رفض وصل حتى الممانعة من قبولها، ولقد تَمَثَّل ذلك في حملة ثلَّة من العلماء مثل ابن قتيبة والسيرافي وابن الأثير... فحسبه ابن قتيبة: "له ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم" (54)، وخاطب السيرافي أصحاب الترجمة بقوله: "وإنما بودّكم أن تشغلوا جاهلاً، وتستذلّوا عزيزاً" (55)، ونفى ابن الأثير أن تكون له فائدة تذكر للعربية "وكل الذي ذكره (ابن سينا) لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئاً" (56). وهو كلام بحاجة إلى مناقشة، إذ لا يعقل أن يكون هذا الجهد الكبير الذي صنع حضارة عظيمة من غير فائدة، خصوصاً أنه يمثل خلاصة الفكر الإنساني، لكنّ القول يبقى، إنّ هذه المحاولات والمعارضات قد تَمَّت في زمن "اللاتشكّل" حيث صارت فيما بعد في قلب العملية الحضارية العربية في العصر العباسي، وحيث استمرّ النقاش حول بعض المصطلحات مثل "تغيير" (ميتافورا في كتابي "الخطابة" و"الشعر" لأرسطو). التي احتفى بها النقاد العرب القدماء واستعملوها عشرات المرات في كتبهم النقدية حتى أخذت شكلها الحالي: الإستعارة أو المجاز..

7- التشكّل في النهضة والحديث:

بعد انكفاء العرب أمام المغول في العام 1258م دخلت اللغة العربية في طور جديد حمَّلها وزر تضعع الأمة وتراجعها، ومنذ ذلك التاريخ، وفي مدة تقارب ستمائة سنة، شعر العرب بأنهم يهبطون من الأعالي وينحدرون إلى فوضى الأمية، حيث "كان الشعب أمياً والعالم كان في ذلك الزمن إمّا كاهناً أو شيخ دين" (57)، حتى أنّ هذه الأمية كانت مستحكمة في بعض المدن العربية وأن تجارها كانوا يعتمدون في كتابة رسائلهم وتسجيل حساباتهم على نفر قليل قدّر لهم أن يقرأوا ويكتبوا" (58)..

وكان ذلك نتيجة لعدّة عوامل (59) تتركز في إبعاد اللغة العربية عن الدواوين ومجال الحياة الرسمية، لأنّ التركية قد حلّت محلّها إبّان السيطرة العثمانية على البلاد، وقد سيطرت العامية على الأفلام والألسنة وكتاب الدواوين والتاريخ.. وليس أدلّ على المحسّنات اللفظية يطغى استعمالها على كل شيء.. والفنّ الغالب هو المقامة أو الترسّل والموضوعات المكرّرة كالتهنئة والتعزية، الأمر الذي أبعد الكاتب من خصوصية معينة يمتاز بها، وأغرقه في دوامة الركافة وإفراغ المضامين من أي معالجة لقضية من القضايا.. حيث فقد الكاتب والقارئ لذة التعبير عن الذات والواقع وطلب الثقافة..

جعلت هذه التطورات من النهوض مبعثاً جديداً إلى التشكّل اللغوي من جديد. وكان يتمثّل في الالتفات إلى الصحافة التي كانت عاملاً رئيساً في هذا التشكّل بإخراجها الكتابة العربية من جمودها، حيث اتخذت من إحياء

التراث والظروف السياسية عاملين رئيسيين للانبعاث، تراوح صوغهما بين الاختيارات الصعبة المتأرجحة بين العامي المرفوض والفصحى المتقوّرة، المرفوضة أيضاً، اختيران لا يستجيبان لعوامل التعبير العصري النهضوي.. وكان الاختيار يمضي في استحداث أسلوب عصري مليء بالحيوية والعصرية ينسجم مع الطموح النهضوي العربي.. فدخل التشكّل الجديد بنثره الملائم إلى ميدان الحياة من باها الواسع، لكن هذا التشكّل لم يكن يتم من غير صراع بين المحدّدين والمحافظين⁽⁶⁰⁾.. ومن غير اختيار بين نمطين للكتابة: تقليد صحافة الغرب وأفكاره وطرق صوغه الكلامي، والانتقال من التصنيع إلى الجدّة والموضوعية والأخذ بأسباب الحضارة للتشكّل الجديد..

ولا يتسع المجال هنا للتفصيل في ذلك، إلّا أنّ الراصد حركة التشكّل هذه يلمح أنّها تمت بشكل تدريجي ومنطقي وملائم للتطور الجديد لدى العرب.. وكان ناصيف اليازجي يعلن في ممارسته الكتابة عن مضمون هذا التشكّل اللغوي ابتداء من المقامة الوريثة الشرعية للأسلوب العربي الذي انتهت إليه عهود الكتابة العربية القديمة، وصولاً إلى تنبّه إلى حاجة العصر إلى تقديم قواعد اللغة العربية بحلّة عصرية جديدة ومفهومة، ومروراً بكتابه الشعر وبالتالي تطوير التشكّل الكتابي إلى شكل جديد تمثّل في كتابه "فاكهة الندماء"⁽⁶¹⁾.

وفي الوقت نفسه، وفي تزامن عمري ساقته الأقدار بين ناصيف اليازجي ورفاعة الطهطاوي.. يقوم هذا التشكّل اللغوي ليقدم صفحة أخرى من عناصر تشكّله، فيلجأ الطهطاوي إلى الترجمة، كعنصر أساس في هذا التشكّل، لا ليترجم المصطلح وحسب بل ليترجم أساليب الحياة الغربية أيضاً، ولتشغله في هذا التشكّل مسألة وقف عندها العلماء في العصر العباسي وهي ترجمة المصطلح.. مرّة جديدة لا أريد التفصيل، مع أنّه مغر في هذا المجال، لكنني سأقتصر على ذكر الطريقة التي اعتمدها الرجل لتقديم المعارف والإسهام في هذا التشكّل الجديد للغة والأمة على حدّ سواء.. فقد امتاز أسلوبه بالموضوعية والعلمية وصل إلى حدّ التقريرية واعتمد المراسلة والاقتراب من السرد والسهولة الموسوعية والمنطق.. لكنّه واجه مشكلة التعبير عن المعطيات الحضارية الجديدة، وكان عمله هنا ضرباً جديداً من ضروب الكتابة العربية.. فهو أمام مشكلة المصطلحات الحديثة وأمام كلمات لم يعتقد العرب عليها، لذلك فإنّه قد عرّب بعض الكلمات وترك بعضها الآخر دون تعريب لأنّه لم يجد ما يقابلها في العربية، من ذلك⁽⁶²⁾:

الترجمة الصحيحة

منتخب
مشهد
مسرح
فارس

Electeur
Spectacl
Theatre
Chevalier

إليكتور
سبكتاكل
التياتر
شفالييه

وأحياناً يحاول أن يعرّب بعض الكلمات، وإن كان تعريبها اليوم قد توقف استعماله واستعيض عنه بآخر:

الكلمة	ترجمة الطهطاوي	الترجمة الجديدة
Lamassée	خزانة المستغربات	المتحف
Théâtre	خيالي	المسرح
Constitution	الشرطة	الدستور

على أنه ترك الكثير من الكلمات في لفظها العامي لأنه لم يجد ما يناسبها في الفصحى:

- اللخبطة: التشويش
- التنبلة: الكسل.
- قومانيات: شركات
- فاميليه: العائلة.
- القزاز: الزجاج
- الصرماتية: الحذاؤون

وكان الطهطاوي بذلك يخطو بالترجمة خطواتها الأولى باتجاه الحقول الأوسع والأكثر دقة، فاتحاً أمام التشكّل اللغوي النهضوي أبواباً واسعة، ليس في حقل المصطلح وحسب بل في حقل الحياة..

ولم يقتصر هذا التشكّل اللغوي على الطهطاوي بل تعدّاه إلى ثلّة كبيرة من الدارسين والباحثين واللغويين أمثال: علي مبارك وإبراهيم اليازجي والثعالبي وسليمان البستاني وجرجي زيدان... وغيرهم كثير.. حتى استطعنا القول: إن ما جرى على هذا الصعيد قد أدّى إلى إعادة الحياة إلى اللغة العربية وصنع تشكّلها العصري الذي لازالت تعيش في كنفه في ظواهرها الصراعية المختلفة فكراً وعلماً وأدباً... وأثمرت المثاقفة في عصر النهضة والعصر الحديث عن روافد كبيرة صبّت في هذا التشكّل، ومنحته ألواناً جديدة من الانفتاح والتفاعل مع الظواهر الكونية التي كان عليه أن يعيشها ويحافظ على هويّته وبخاصة لغته فيها..

8- الحداثة أو لعبة "اللاتشكّل المقتّعة":

ظلّ التحديث حلماً يراود العرب منذ مطلع النهضة العربية، وربما استمرّ بأشكال مختلفة إلى يومنا هذا، والتحديث يشمل الحياة كلّها بما فيها اللغة والأدب.. ولم يتجاوز المجتمع العربي كلاسيكيته في كثير من الوجوه الواقعية نظراً للمشكلات الحادة التي عصفت به، فاضطر إلى القول بالتحديث ومن ثم الحداثة، وها هو ذا الآن ينتقل إلى ما بعد الحداثة أي إلى المرحلة الكونية التي سمّيت بالعولمة..

والجدير ذكره أنّ هذه المصطلحات الثلاث: التحديث والحداثة والعولمة ظلّت هامشية ولم تأت أكلها على غير صعيد إلا فيما ندر.. يعني أنّها بقيت في طور اللاتشكّل الذي هو حالة قائمة في جميع الميادين، ويصحّ هذا الحديث على الأمة والسياسة... وهناك استعارات متفرقة لكل مجال، لاسيّما في النظم السياسية والاقتصادية والثقافية، وحتى الاجتماعية باتت في خطر من التفتت والشرذمة، الأمر الذي يدخلها في "لا تشكّل" قاتل يفقد الأمة هويّتها وبالتالي

لغتها وخصوصيتها.. ولهذه الشؤون كلها همومها في الوطن العربي.. لكنّ الناحية التي تممنا في هذه العجالة وضع اللغة العربية في هذه الدوامة من المشكلات الحادة.

فعلى الرغم مما يجري ظلّت اللغة العربية محافظة على سرّ قوتها أداة للتعبير والتخاطب، سليمة من الركاسة والابتذال، عظيمة في المكانة عند أبنائها، على الرغم من محاولات الافتئات عليها في جوانب عديدة..

وقد انتاب العاملين في هذه اللغة هذا "اللاتشكّل" في غير مجال، وإذا كان التجديد في الشعر العربي الحديث، منذ تحليل الخوري⁽⁶³⁾ وخلييل مطران... قد حاول أن يقول كلمته في الأشكال والتعبير والمعاني، فإنّه قد نقل اللفظة من كلاسيكيتها، أي أنّها لم تكن إبداعية وأنّها هي غالباً لفظة اتباعية.. وأنّها لم تحمل على معناها اشتقاقاً نفسياً يحيلها عن واقعها المباشر وينفخ فيها من النفس حالات وذكريات وأبعاداً أخرى.. أي أنّها واقعية في الوصف، بل إنّها مغرقة في الواقعية حتى في جلبة حروفها واربدادها وتجهمها.. وهي لفظة فكرية ذهنية في تعبيرها عن العواطف والأفكار⁽⁶⁴⁾.. إذا كان التجديد إذاً قد حاول أن ينقل هذه الكلمة من كلاسيكيتها إلى الواقع فأصبحت رومانية في ظلالها وأبعادها وتعبيرها عن تلوينات النفس، فإن ذلك لم يمنع من استمرار الكلاسيكية، كما لم يمنع من قيام حركة الحداثة الشعرية التي حملت الألفاظ من واقع ذي دلالات محدودة إلى آخر مليء بالإيحاءات والدلالات والتصورات. لكنّ ذلك كلّ بقي جزءاً "لا تشكّلية"، لم تحمل مشروعاً كبيراً يجعل الحياة في جميع المجالات حدثية، فبقيت في طور "اللاتشكّل" غير معمّمة، وبالتالي شهدت توجهاً نحو قصيدة النثر ونحو الشعر المتفلّت نهائياً من الضوابط، وهو الأمر الذي جعل بعض شعراء الحداثة يعيدون النظر في حركة الحداثة الشعرية غير مرّة، لكنّ اللغة العربية بقيت على الرغم من ذلك أداة طيعة في التعبير، ولم يؤثر هذا "اللاتشكّل" فيها، بل كانت تستجيب لكلّ دواعي الإبداع.

ولقد امتدّ هذا "اللاتشكّل" نفسه إلى ميدان النقد فدخلت إلى مضمار الأدب نظريات كثيرة أدبية ولغوية، كانت نوعاً من الإسقاط في بعض الأحيان، ومنهجاً مقيد الاستعمال في أحيان كثيرة..

وبالطبع إنّ الأدب فرع من فروع الثقافة وبالتالي الحياة.. ومن الطبيعي تأثره بما يحيط به، لاسيّما الثورة المعرفية الخطيرة التي أفرزتها الحداثة وبالتالي العولمة في شتى فروع المعرفة العصرية، خصوصاً التكنولوجيا والحيوية والطبيعية والهندسة الوراثية وعموم ما أطلق عليه الثورة الصناعية الثانية.. وقد ظلّت العلوم في بلادنا "لا تشكّلية".. تعتمد تنفّاً من هنا وهناك، ولم تستعمل على أكمل وجه. أضف إلى ذلك أن الأدب في ظلّ العولمة لا يزال يتخلّق ولم تكتمل نظرياته إلى الآن، وفي حين: "أنّ شعراء ومثقفي المناطق المتخلفة اقتصادياً يؤلفون أناشيد وطنية، يتغنّى شعراء ومثقفو دول الموجهة الثالثة (موجة العولمة) بفضل عالم بلا حدود"⁽⁶⁵⁾.. والأبرز في التحوّلات التي طرأت على العالم يتركز في

المعلوماتية وهي الصورة الأفضل للتعبير عن الانتقال من "القوة الفظة إلى القوة الذهنية" (66)، وهو العالم الذي تشكّله المعلوماتية، ولا تزال عناصره تتجمّع لتلقي أمام الإنسانية نمطاً جديداً من التفكير والسلوك والأسلوب والصوغ (67) ..

ومنذ سبعينات القرن الماضي، والتكنولوجيا تتدخل في حياة البشر وتحوّل مجرى حياتهم وتؤثر فيهم، كما تضفي أجواء جديدة من التعبير عن وجود الإنسان في هذه التطورات الخطيرة من تاريخ وجوده.. وهو ما أطلقت عليه العالمة الأميركية مارجريت ميد Margret Mead عبارة المأساة الجديدة للإنسانية في استسلام الإنسان للآلة من أجل الحياة (68) .. لذلك انخفضت قيمة كل عضو من الطبقة المثقفة، لم يعد أكثر من قطعة شطرنج أو ترس في نظام صناعي من نظم اليوم، ولقد انتقل الناس من القراءة إلى المشاهدة والصورة، وغدت الروايات التفاعلية هي التي تشدّ الإنسان إلى وسائل الإعلام وتقنياته.. إضمحلّ تأثير اللغة واقتصر الإبداع على مجالاته أمام انشغال الأجيال بالألعاب تعرض على شاشات التلفاز والحاسوب والإنترنت، وأصبح الفرد لاعباً بدل أن يكون منشئاً أو يرثي ذوقه وملكاته على إنشاء يقوّي لغته وإمكاناته الكتابية، وأصبح السؤال: هل نتج أدباً أم معلوماتية؟ مشروعاً في ظلّ التبدّل السريع في التقنيات الإعلامية ووسائل الاتصال الحديثة..

في الرواية التي كتبها الأدبيان الفرنسيان فير كور وكورنيل Vercors et Cornel وعنوانها "كوتا" Quota نجد هذه التأثيرات لتكنولوجيا المعلومات تقتحم الإنسان في ملكاته وأدوات تفكيره وميوله ومشاعره، وهي تدور حول شاب اسمه "كوتا" طموح إلى جمع المال عن طريق التجارة همّه أن يحوّل الناس إلى أرقام مستهلكة، يخاطب إحدى شخصيات الرواية بقوله: "ليست هناك جدوى من التفكير"، وأنّ "الرأس هو دمارنا جميعاً"، وفي "اللحظة الراهنة ميكانيكية أخاخنا لازالت بشرية تماماً، إنّنا لم نفلح بعد في إخماد نور العقل"، ويتبيّن من الرواية أنّ كوتا لم يفقد الأمل بتحويل المخّ البشري إلى آلة (69) ..

تبدو صورة التقدّم الهائل للمعلوماتية مرعبة ومريخة في آن.. فهي مرعبة لأنّها تحاول أن تجعل من الإنسان مجرد رقم أو آلة.. أو أن تستخدم أحد أعضائه وحسب في إدارة الآلات وبالتالي الحياة.. في هذا الواقع يصبح العالم في وسط تعديل لحمل عطاءاته الفكرية والعلمية والإبداعية بداعي التقدّم..

أما في وطننا العربي فتبدو تقديمات المعلوماتية متراجعة عمّا هي عليه في العالم، حتى أنّنا لا زلنا نتحدّث عن حاسوب المراحل الأولى.. لقد شاخ عندنا هذا الحاسوب، وتعامل معه على هذا الأساس.. بينما خطا في العالم خطوات أخرى لم نسمع بها حتى الآن.. إنّ المعلوماتية تدخل بلادنا ببطء شديد، هي مثال واضح "للا تشكّل" في مضمار المعلوماتية، تنفّ هنا وأخرى هناك، لازالت غير معتمدة كلياً ونقف أمامها حيارى.. يتناوب الرعب منها ولا نتخذ القرار المناسب من أجلها..

في ضوء ذلك، نعيد سيرة المذاهب النقدية والنظريات اللغوية التي دخلت إلى بلادنا أو أسقطت عليها.. فقبيل التبشير بالمعلوماتية عرف العالم مزيداً من المصطلحات الأدبية التي انتقلت بدورها إلى مواطن الأدب العربي، وتناقلتها الأقلام النقدية.. بتنا أمام كم هائل من هذه المصطلحات، وقد أطلقت على مناهج النقد الحديث، وبات أمر البنيوية والتفكيكية والتركيبة وعلم الدلالة (السيمائية) والأسلوبية والألسنية عموماً منتشراً في مرحلة ما سُمّي بالحدثة وحتى فيما بعدها.. وكان ذلك يعدّ مقدّمات منهجية، سواء عن تصميم أم غير تصميم لمصطلح المعلوماتية التي تعني في أحد تفسيراتها الاتصال.. وهو مختلف من علم إلى آخر، ومن فن إلى آخر ونصّ إلى آخر.. والأكثر أهمية هنا أنّ الاتصال أخذ يستخدم التقنية الرقمية الإلكترونية في نقله المعلومات التي تعني أي نوع من أنواع الاتصال.. وهذا يشمل البيانات والصوت والصورة واللون مثل الكلام والأرقام والكلمات والرسوم البيانية والموسيقى والشرائط (الأفلام) والألوان والروائح⁽⁷⁰⁾..

والأكثر بروزاً في استعمال اللغة هو ما عرف بالأسلوب التفاعلي، أي اعتماد التفاعل بين طرفين أو طرف وأطراف أخرى.. أو الاتصال بينهما بوساطة وسائل خاصة كالحاسوب والأجهزة الخليوية والإنترنت والإذاعة المرئية والمسموعة والسينما والفيديو والجريدة، اتصال يتم عن طريق مراكز المعلومات ليحصل على استجابة فورية من المصدر نفسه.. وبهذا يستطيع المتصل أن يتفاعل مع المعلومات ويغيّرُها أو يضيف إليها أو يتحاور معها كما هو الأمر في الإنترنت والآلات العارضة، حتى أن الهاتف المحمول يمكن أن يصبح أداة لتصفح جريدة أو قراءة كتاب أو مشاهدة برنامج تلفزيوني، أو قراءة قصة أو قصيدة، وذلك كله مقابل بديل مالي، وهو ما يربط عملية الاتصال والثقافة والمعلوماتية عموماً بسوق التجارة والمال..

إنّ الأجواء النصّية في هذا المجال تقتضي وجود عالم افتراضي أو تشبيهي يقوم على خلق تواصل نظري (نص أو صورة ثابتة) وتحويلها إلى تواصل شعوري يخوض في فضاء ثلاثي الأبعاد من المكونات الثابتة والأشخاص والحالات الجديدة، بحيث نجد في الجهاز التواصلي المستعمل لوحات تعرض فيها الأعمال الفنية من رسم ونصوص أدبية أو سواهما، يتم فيها التبادل الشعوري بين المرسل والمتلقي.. وتضاف للنص أيضاً مكملات أخرى لتزويده بالروائح العطرة المتنوعة أو الإيحاء بشعور ملمسي لدى مشاهدة الحاسوب⁽⁷¹⁾.. ذلك كلّ يتم في نطاق ما يسمّى بالثورة الحسية في شبكات الاتصال.. بالإضافة إلى لغات خاصة أبرزتها المعلوماتية، لاسيّما في الهواتف الخليوية، وتبقى هذه اللغة نصّية، لكنها غير مكتملة لناحيّة: ضبط تقنيات الصوت والتخصيص للغة معينة، بالإضافة إلى جفافها ومحدوديتها وعمليتها ورقميتها وعدم التفريق بين متلق وأخر.. وحضور المؤثرات المختلفة البصرية والسمعية والشمّية واللمسية..

من هذا كله ولد النصّ المنهل المكتوب بطريقة مبتكرة على أساس الاتصال التفاعلي بين المتلقي والمرسل (المفترض أن يكون كاتباً).. وهذا النص محاولة لإيجاد فضاء حضاري لمنهل للمعرفة بدل فضاء الأرض⁽⁷²⁾.. وهو يقوم على الترابط المتحقق داخل وسيلة الاتصال الإلكترونية التي تسمح للمتلقي بأن يتحرك بحرية بين عناصر مختلفة.. وهو نص ينطوي على شكل من الكتابة التعددية التابعة والسطرية.. واللغة هي الأداة التواصلية الأولى منطوقة ومكتوبة.. ولكن أية لغة وأي تواصل؟

إن الإجابة تحمل هماً من هموم اللغة في البلاد العربية، ذلك أن اللغات المستعملة هي غير عربية إلا فيما ندر، وأن هذه الآلة لم تنتشر في بلادنا إلى الآن بمواصفاتها الأعلى تطوراً.. علاوة على عدم إتقان اللغات الأجنبية من كثير من الأفراد..

أما في المناهج النقدية والأدبية فقد كانت الأسلوبية في استقلالها مصاحبة لفورة اللسانيات، وارتبط تطورها بتطور هذا العلم وتشعب منهجياته، واعتمدت على قاعدة نظرية لسانية أو سيميائية أو برغماتية، فوجدت طريقها إلى نظرية الاتصال..

وإذا كان الدكتور نبيل علي يرى أن هناك إمكانية كبيرة لاستفادة الأدب من التكنولوجيا، إلا أنه لا يخفي القول بالحاجة إلى تنظير أدبي جديد يعكس ما فعلته تكنولوجيا المعلومات في النص الأدبي من تشظٍّ وتشعب وتناص.. إن تنظير أدب عصر المعلومات في انتظار نقلة نوعية تمكّنه من التعامل مع اللاحظية ومع تعدد أشكال بنية النص وفقاً لتركيبية شظاياها، ومع تغييرها دينامياً وفقاً لما يراه القارئ في تناول نصّه⁽⁷³⁾..

بالعودة إلى الموضوع الرئيس، يجد الباحث نفسه أمام تغيير جذري في المفاهيم وطرق الكتابة وتحليلات الإبداع.. وفي العالم العربي لا تزال هذه المعطيات تحبو في مدارجها الأولى، وهي تعيش حالة من الهامشية ولم تدخل إلى صميم الأدب واللغة، وإن شهدت إطلاقات متعددة ومبعثرة، وهي لا تزال في طور اللاتشكل، تنمو بعيداً عن أجواء تفاعلها الشعبي وبالتالي العقلي والنفسي. واللغة العربية في ذلك كله تشهد هذا اللاتشكل نفسه، لم تجد تشكّلها النهائي بعد، في ضوء الجديد، سواء فيما عرف من مذاهب نقدية أم في الصوغ الأدبي وطريقة التعامل مع النصوص. لم تتشكل بعد كنظرية كاملة، لا تزال تحدث الدهشة لدى الباحث والقارئ على حدّ سواء، ولا تزال تنتظر القرار الرسمي كي تكون الأساس في التعاطي النقدي والتحليلي وفي البداية الكتابي، فهي شائكة للقارئ والمبدع في آن، وربما تحلّ الأجيال الناشئة هذه المعضلة، لكننا نؤكد على عدم تشكّل هذه الظاهرة اللغوية التي ترسم تحدياً للغة العربية وقبلها للمجتمع العربي برمته..

وعلى ذلك تغدو المرحلة الجديدة مرحلة "لا تشكل" للغة العربية تساقط عليها الاقتراحات من كل حذب وصوب، على شكل إسقاطات أو ترجمات أو أمر واقع.. دون أن تنمو كظواهر تحمل سمة المجتمع وحركة الناس فيه.. وهي تسهم في تشرذم التكوّن اللغوي، لاسيّما في جانبه المصطلحي والنظري، في ظلّ غياب المجمع اللغوي العربي الموحد الضابط لكلّ طارف والملائم إيّاه مع التليد..

إن هذه الأمة تمتلك إمكانات واسعة في الحقول المختلفة، في عصر تسعى فيه الأمم إلى لمّ شتاتها والتمحور حول ذاتها والتنسيق مع الذوات الأخرى المشابهة.. إنّ خطر العودة إلى مرحلة ما قبل التشكّل الأكبر للغة العربية، أي قبيل الإسلام، محتمل.. تُهيأ له الظروف لتمضي في تفتيته.. إنّ المطلوب هو عدم السير بعكس الزمن.. واللغة العربية قادرة وقويّة على منع التفتت العربي.. إنّ العودة إلى هذه اللغة هو الحصن الحصين للأمة، بعيداً عن التقوّل غير النافع وقريباً من القول المفضي إلى الاستفادة من الطاقات من أجل التجميع والمضي مع الشعوب المحبة للغاتها باتجاه خير الأمة..

- 1 - اللغة ومشكلات المعرفة، نوام تشومسكي، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، ص145، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1990.
- 2 - محاضرات في اللسانيات، د. فوزي حسن الشايب، ص23-24، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1999.
- 3 - علم اللغة الاجتماعي، تأليف د. هدرسون، ترجمة د. محمود عياد، ص12، عالم الكتب، القاهرة، 1990.
- 4 - المرجع نفسه، ص: 15-16.
- 5 - على أبواب القرن الواحد والعشرين: أين أصبح العالم الثالث؟، توماس كوترو وميشال هوسون، تعريب نخلة فريز، ص222 و226، دار الأزمنة الحديثة، بيروت، 1999.
- 6 - المرجع نفسه، ص228.
- 7 - انظر كتاب: تاريخ سوريا الحضاري القديم: 1- المركز، الدكتور أحمد داود، دار المستقبل، دمشق 1994.
- 8 - تاريخ الطبري، الجزء الأول، ص81-85، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- 9 - بودي: ويكتب "بد" والكلمة في القاموس السرياني تعني: الضلال، الفناء، الهلاك، الموت، وفي العربية القديمة من فعل "بد" وفي العربية الحديثة من فعل باد.
- 10 - تاريخ سوريا الحضاري، د. أحمد داود، ص92 (وهناك تفصيلات كثيرة حول نشوئه وتطوره).
- 11 - المرجع نفسه، ص55-56.
- 12 - دراسات في تاريخ الشرق القديم، د. أحمد فخري، ص40.
- 13 - تاريخ العرب المطول، د. فيليب حتي، الجزء الأول، ص11.
- 14 - الساميون ولغاتهم، د. حسن ظاظا، ص13-15.
- 15 - الأساس في الأمم السامية ولغاتها، د. علي العناني، المقدمة، ص37.
- 16 - الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، 1/30، وراجع في هذا المجال "فقه اللغات السامية"، كارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، ص6، وكتاب "اللسان والإنسان" للدكتور حسن ظاظا، ص158-159.
- 17 - فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، ص13، جامعة الرياض، 1977.
- 18 - تاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، ص7.
- 19 - تاريخ سوريا الحضاري، د. أحمد داود، ص56.
- 20 - الأساس في السامية ولغاتها، د. علي العناني، المقدمة، ص38.
- 21 - المزهر، السيوطي، 1/20، تحقيق محمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمود إبراهيم.
- 22 - سفر التكوين، 1/11.
- 23 - العصور القديمة، جيمس هنري بريستد، ترجمة داود قربان، ص294، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1983.
- 24 - المرجع نفسه، ص295، عن تاريخ سوريا الحضاري، ص58.
- 25 - المرجع نفسه، ص59.
- 26 - تاريخ سوريا، د. فيليب حتي، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، الجزء الأول، ص182، دار الثقافة، بيروت، 1982.
- 27 - يراجع في هذا المجال كتاب: "التطور النحوي للغة العربية"، جوتلف برجشتراسر، أخرجه وصححه رمضان عبد التواب، ص140-141، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، 1982.
- 28 - الأساس في الأمم السامية ولغاتها، د. علي العناني، المقدمة، ص39.
- 29 - تاريخ سوريا الحضاري، د. داود، ص63-64.
- 30 - المرجع نفسه، ص64.

- 31 - ابتداء من صفحة 53.
- 32 - من ألواح سومر، صموئيل كريم، ترجمة طه باقر، ص261، مكتبة المثني ببغداد ومكتبة الخارنيجي بالقاهرة، عن تاريخ سوريا الحضاري، ص193.
- 33 - المرجع نفسه، ص282.
- 34 - المرجع نفسه، ص286-287.
- 35 - المرجع نفسه، ص183.
- 36 - المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران، علي بن صالح السلوك الزهراني.
- 37 - تاريخ سوريا الحضاري، 105-106-107.
- 38 - دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، ت.م. جونستون T.M. Johnstone ترجمة د. أحمد محمد الطيّب، ص: 51 إلى 97، الدار العربية للموسوعات، ط2، بيروت، 1983.
- 39 - المرجع نفسه، الأبواب الثاني والثالث والرابع.
- 40 - تاريخ سوريا الحضاري، ص645-648.
- 41 - هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، ص83، دار القلم، القاهرة، 1966.
- 42 - تاريخ سوريا، فيليب حتي، ج1، ص337، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، 1982.
- 43 - تاريخ اليونان، محمود فهمي، ص11-15، مطبعة الواعظ، ط1، مصر 1910.
- 44 - تاريخ اليونان، محمود فهمي، ص15.
- 45 - تاريخ سوريا الحضاري، أحمد داود، ص691.
- 46 - تاريخ سوريا الحضاري، أحمد داود، ص691.
- 47 - المرجع نفسه، ص698.
- 48 - قاموس المورد، انكليزي عربي، مادة تقف.
- 49 - من الصفر إلى السيفرة: المثاقفة وتحولات المصطلح النقدي، د. زياد الزعبي، مجلة "عالم المعرفة"، مجلد 36، عدد 1، المجلد الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007.
- 50 - النظر في كتاب "المقابسات"، أبو حيان التوحيدي، حققه وقدمه محمد توفيق حسين، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989.
- 51 - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، الجزء الثاني، ص139، تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، بيروت، د.ت.ط.
- 52 - أنظر كتاب "الحرون"، الفارابي، تحقيق محسن مهدي، بيروت، 1970.
- 53 - نقد الشعر، ابن وهب الكاتب، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ص73-74، د.ت.ط.
- 54 - أدب الكاتب، ابن قتيبة، تحقيق محي الدين عبد المجيد، ص3، القاهرة 1963.
- 55 - الإمتاع والمؤانسة، التوحيدي، 1/123.
- 56 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، القاهرة 1973.
- 57 - صقر لبنان، مارون عبود، ص52، لبنان، 1950.
- 58 - الحلقة المفقودة، محمد جميل بيه، ص192، بيروت، 1950.
- 59 - الأدب العربي الحديث، نماذج ونصوص، د. سالم المعوش، ص126، دار المواسم، بيروت، 1999.
- 60 - المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام (1840-1940)، أنور الجندي، ص2، مطبعة الرسالة، 1961.
- 61 - الفنون الأدبية وأعلامها، أنيس المقدسي، ص58، دار العلم للملايين، ط4، بيروت 1984.
- 62 - الأدب العربي الحديث، د. سالم المعوش، ص155.

-
- 63 - شاعر من القرن التاسع عشر، من مواليد العام 1836 في لبنان، له ديوان شعر بعنوان "العصر الجديد".
- 64 - الكلاسيكية في الأدب الغربي والعربي، إيليا حاوي، ص167.
- 65 - أشكال الصراعات المقبلة: حضارة المعلوماتية وما قبلها، ألفين وهايدي توفلر، تعريب صلاح عبد الله، ص41، دار الأمانة الحديثة، بيروت، 1998.
- 66 - المرجع نفسه، ص18.
- 67 - أنظر بحثنا بعنوان: المعلوماتية والأدب، قدّمه كاتب هذه السطور إلى مؤتمر "المعلوماتية وتحديّ الأمة الحضاري" الذي عقدته جامعة الزرقاء في الأردن
- 68 - الثورة التكنولوجية والأدب، فالنتينا إيفاشيفا، ترجمة عبد الحميد سليم، ص208، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.
- 69 - المرجع نفسه، ص211.
- 70 - تكنولوجيا الاتصال الجماهيري وآفاق الحرية والإبداع، بحث للدكتور صالح أبو إصبع، أُلقي في مؤتمر "الحرية والإبداع" الذي عقد في جامعة فيلادلفيا في عمان في المدة من 15-17/5/2001.
- 71 - الروائع الرقمية في حواسبنا الشخصية، حسن يوسف، مجلة "بي سي" نيسان 2001، ص48.
- 72 - Levery Pierre, L'Intellectuel collectif, page 137, édition la découverte, paris, 1994
- 73 - الثقافة العربية وعصر المعلومات، د. نبيل علي، سلسلة كتب عالم المعرفة، عدد 265، الكويت، أيار 2001، ص517.